

أَدَوَاتُ الْإِمَامِ الْمَجَادِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

فِي مُوَاجَهَةِ الْحَرْبِ النَّاعِمَةِ

أَدَوَاتُ الْإِمَامِ الْمَسْجُودِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
فِي مُوَاجَهَةِ الْحَرْبِ النَّاعِمَةِ

مِنْ خُطَابَاتٍ

مُتَمَلِّحَةً إِلَى رَجْعِ الْإِسْلَامِ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْيَعْقُوبِيِّ

هوية الكتاب

هوية الكتاب:أَدَوَاتُ الْإِمَامِ السَّجَّادِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

تأليف:الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

الطبعة:الأولى

السنة: ١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م

طبع ونشر

دار الصادقين للطباعة والنشر والتوزيع

العراق - النجف الأشرف - شارع الرسول (ص)

هاتف: ٠٠٩٦٤ ٧٨١٠١٩٥٤٨٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

ليست النصوص الفكرية والتربوية المهمة مجرد كلمات تُقرأ ثم تطوى صفحاتها، وإنما هي رؤى ومشاريع تحتاج إلى التأمل والتفكير واستنطاق المعاني الكامنة فيها، ولا سيما إذا تناولت سيرة إمام معصوم، وحاولت أن تربط مواقفه التاريخية بتحديات الأمة في حاضرها.

ومن هذا المنطلق جاء هذا الشرح للخطاب الموسوم بـ (أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة) لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله ؛ لأنه لا يعرض أحداثاً متفرقة من حياة الإمام فحسب، بل يقدم قراءة متكاملة لمشروعه الرسالي بعد واقعة كربلاء، ويكشف أن الإمام السجاد (عليه السلام) لم ينسحب من ميدان المواجهة بعد استشهاد أبيه (عليه السلام)،

وإنّما نقل المعركة من ساحة السلاح إلى ساحة الوعي
والتربية والإعلام وبناء الإنسان.

وقد احتاج النص إلى الشرح؛ لما اشتمل عليه من
أفكار مركّزة، وإشارات تاريخية وعقدية وتربوية
 واجتماعية، قد لا تظهر جميع أبعادها من القراءة الأولى،
فهو يجمع بين الحديث عن الإعلام، والدعاء، والبكاء،
وتربية الكوادر، وإقامة الشعائر، وإصلاح الفرد والمجتمع،
ويضعها جميعاً في إطار مشروع واحد لمواجهة التضليل
والانحراف.

ولم يكن الغرض من الشرح إلّا توضيح الفكرة،
وبيان الرابط بين أجزائها، والكشف عن الدلالات
الأخلاقية والفكرية والحضارية التي يمكن استلهاها منها،
فربّ عبارة قصيرة تحمل وراءها منهجاً كاملاً في القيادة،
أو التربية، أو التعامل مع الأزمات، أو فهم مسؤولية الإنسان

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٩﴾

المؤمن في المجتمع وهكذا هي دائماً كلمات سماحة
المرجع (دام ظله).

كما أردنا من هذا الشرح تقريب النص إلى لغة
الجيل المعاصر، من دون أن نفقده أصالته الحوزوية
وروحه العقائدية؛ لأنّ الشباب اليوم يعيشون أشكالاً
جديدةً من الحرب الناعمة، عبر وسائل التواصل
الاجتماعي، وصناعة المحتوى، والشائعات، والذكاء
الاصطناعي، والتأثير الثقافي والنفسي، ومن هنا كانت
الحاجة إلى بيان كيف يمكن تحويل منهج الإمام السجاد
(عليه السلام) إلى رؤيةٍ عملية تساعد على فهم هذه التحديات
ومواجهتها.

وقد روعي في الشرح تمييز النص الأصلي عن
التعليق عليه، حتى يبقى كلام سماحة المرجع الشيخ
محمد اليعقوبي (دام ظله) واضحاً محفوظاً، ثم تأتي

﴿١٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

القراءة التوضيحية بعده، من دون أن تختلط الإضافة بالأصل، ثم ختم الشرح بجملته من الدروس والعبر؛ لأنَّ الغاية من دراسة سيرة الأئمة (عليهم السلام) ليست الوقوف عند الإعجاب بمواقفهم، وإنَّما الانتقال من المعرفة إلى الاقتداء، ومن التأثير إلى العمل؛ فسيرة الإمام السجاد (عليه السلام) تعلمنا كيف نثبت بعد الصدمة، وكيف نحول الألم إلى مشروع، وكيف نصنع من الكلمة والدعاء والأخلاق والتربية أدوات للتغيير.

إنَّ هذا النص يريد أن يعيد تقديم الإمام السجاد (عليه السلام) بوصفه قائداً واعياً أعاد بناء الأمة من داخلها، وحفظ هويتها في واحدة من أشدِّ مراحلها اضطراباً، ومن هنا جاء هذا الشرح ليكشف أبعاد هذه القيادة، ويقرب رسائلها إلى القارئ، ويجعل منها مادةً حيَّةً قابلةً للتطبيق في حياتنا الفردية والاجتماعية والثقافية.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿١١﴾

فالمطلوب ليس أن نكرر وسائل عصر الإمام
(عليه السلام) بحروفها، وإنما أن نفهم منهجه، ونحمل روحه،
ونبحث في كل زمان عن الأدوات التي تحفظ الحق،
وتصنع الوعي، وتبني الإنسان، وتواجه التضليل بالحكمة
والحجة والعمل الصالح.

ما الذي أراد الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) إيصاله
إلى المجتمع؟

يريد سماحة المرجع (دام ظله) تصحيح القراءة
الشائعة لشخصية الإمام السجاد (عليه السلام)، فكثيراً ما تختزل
حياته في العبادة والدعاء والبكاء على الإمام الحسين
(عليه السلام)، مع أن هذه المظاهر نفسها كانت أدوات إصلاحية
واعية ضمن مشروع متكامل.

﴿١٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

فالإمام (عليه السلام) لم ينسحب بعد كربلاء، ولم يتخلَّ عن المواجهة، لكنه (عليه السلام) أدرك أنَّ المواجهة العسكرية المباشرة في ذلك الظرف ستؤدي إلى استئصال ما بقي من أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم، من دون تحقيق نصر حقيقي؛ لذلك غيّر أداة المعركة، ولم يغيّر هدفها.

لقد واجه الإمام (عليه السلام) المشروع الأموي عبر:

- كشف التضليل الإعلامي بالخطب والمنبر.
- بناء العقيدة والروح والأخلاق بالدعاء.
- حفظ القضية الحسينية من النسيان بالبكاء والمجالس.

- صناعة حملة العلم وتربية الإنسان الرسالي.
- تثبيت الشعائر بوصفها وسيلةً لحماية هوية الأمة.
- إصلاح المجتمع من الداخل بدل الاكتفاء بتغيير رأس السلطة.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿١٣﴾

فجوهر الرسالة هو أن النصر لا يكون دائماً بالسيطرة السياسية أو العسكرية، بل قد يتحقق بصناعة وعي جديد يبقى بعد زوال السلطة الظالمة.

ما الجديد في هذه القراءة؟

١/ قراءة سيرة الإمام السجاد (عليه السلام) بمنظار (الحرب الناعمة)

أبرز ما يميز النص هو استعمال مفهوم معاصر، هو الحرب الناعمة، في قراءة الأساليب التي استخدمها الأمويون والإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهتهم.

فسماحة المرجع (دام ظله) لا ينظر إلى بني أمية على أنهم مارسوا القتل والقمع فقط، بل يرى أنهم خاضوا حرباً على:

• المفاهيم.

• الذاكرة.

- العقيدة.
- صورة أهل البيت.
- وعي الناس.
- معايير الحق والباطل.

وقد وصل التضييل إلى أن يُقدّم يزيد بوصفه خليفة المسلمين، بينما يَصوّر الإمام الحسين (عليه السلام) خارجاً على الجماعة.

والجديد هنا هو الربط بين الإعلام الأموي القديم ووسائل التأثير الحديثة؛ كوسائل التواصل الاجتماعي، وصنّاع المحتوى، والأعمال الفنية، والذكاء الاصطناعي.

٢/ تحويل الدعاء من عبادة فردية إلى مشروع حضاري

من أهم إضافات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) أنّه لا يقرأ الصحيفة السجادية بوصفها كتاب مناجاة فحسب، بل يراها منهجاً لبناء الإنسان والمجتمع.

فالدعاء عند الإمام (عليه السلام) يعلم:

- التوحيد والعقيدة.
- معرفة أهل البيت (عليهم السلام).
- محاسبة النفس.
- حقوق الوالدين والأولاد والجيران.
- مكارم الأخلاق.
- المسؤولية الاجتماعية.
- التحرر من الخوف والطمع.

وبذلك يصبح الدعاء وسيلةً لتحرير الإنسان من
الداخل؛ لأنَّ الإنسان الذي يثق بالله تعالى لا يسهل شراؤه
بالمال أو إخضاعه بالخوف.

٣/ تفسير البكاء بوصفه (ثورة صامتة)

﴿١٦﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

النص يرفض تفسير بكاء الإمام السجاد (عليه السلام)

على أنه مجرد حزن شخصي أو ضعف نفسي، بل يراه وسيلةً لحفظ ذاكرة كربلاء.

كان الأمويون يريدون أن تصبح كربلاء حادثةً منتهية، بينما أبقاها الإمام (عليه السلام) حاضرةً في ضمير الأمة، فكل دمعة كانت تستدعي السؤال:

- لماذا قتل الحسين (عليه السلام)؟
- ومن الذي قتله؟
- وكيف وصل المجتمع إلى هذه المرحلة؟

فالجديد هو تحويل البكاء من حالة وجدانية خاصة إلى فعل إعلامي وتربوي وسياسي غير مباشر.

٤/ تقديم الإمام (عليه السلام) بوصفه صانعاً للكوادر

﴿١٧﴾.....في مواجهة الحرب الناعمة.

يلفت سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) النظر إلى أن الإمام السجاد (عليه السلام) لم يكن يعمل لإيجاد جمهور كبير متحمس، بل كان يهتم بصناعة الإنسان الواعي الذي يحمل المشروع بعده، ومن هنا يفسر عنايته بالتلاميذ والمماليك الذين كان يربيهم ويعلمهم ثم يعتقهم، بوصفها طريقةً لتكوين شبكة من حملة العلم والأخلاق، وهذا يقدم درساً معاصراً للمؤسسات والحركات الإسلامية: لا تنشغلوا بالأعداد وحدها، بل اصنعوا النوعية القادرة على حمل المسؤولية.

٥/ التمييز بين تغيير الظالم وتغيير الظلم

من أكثر الأفكار نضجاً في النص قول سماحته (دام ظله) إنَّ المشروع لا ينبغي أن يكتفي بتغيير الحاكم الظالم، وإنما يعمل على تغيير ثقافة الظلم في الفرد والمجتمع.

فقد يسقط ظالم ويأتي ظالم آخر إذا بقيت:

﴿١٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

- الرشوة.
- الوساطة.
- الخوف.
- النفاق.
- بيع المواقف.
- أكل الحقوق.
- السكوت عن الفساد.

وهذا يعني أنّ الإصلاح السياسي لا ينفصل عن الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي.

٦/ عدم الانخداع بالحماسة الجماهيرية

يقراً سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)
رفض الإمام السجاد (عليه السلام) لدعوات أهل الكوفة بوصفه
درساً في عدم الانسياق وراء الشعارات والانفعالات،

﴿١٩﴾.....في مواجهة الحرب الناعمة

فأهل الكوفة أعلنوا استعدادهم للنصرة بعد وقوع الجريمة،
لكن الإمام عرف أنَّ العاطفة المؤقتة لا تعني تغيراً حقيقياً.

والرسالة المعاصرة هي أنَّ المشاريع الكبرى لا تبنى

على:

- التفاعل السريع.
- الهتافات.
- التصفيق.
- كثرة المتابعين.
- موجات الغضب المؤقتة.

بل تبنى على الوعي والثبات والاستعداد لتحمل
المسؤولية.

أين تكمن قيمة النص؟

﴿٢٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

قيمة النص ليست في اكتشاف أحداث تاريخية لم تكن معروفة، وإنما في إعادة ترتيب الأحداث المعروفة داخل رؤية جديدة؛ فالمنبّر، والدعاء، والبكاء، والترتية، والشعائر كانت معروفة في سيرة الإمام السجاد، لكن الكاتب جمعها تحت عنوان واحد، واعتبرها أجزاء من استراتيجية متكاملة لمواجهة الحرب الناعمة.

إذن الجديد ليس في المادة التاريخية نفسها بقدر ما هو في زاوية النظر إليها.

خلاصة الفكرة

يمكن اختصار مراد سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بهذه العبارة:

الإمام السجاد (عليه السلام) لم يترك ساحة المواجهة بعد كربلاء، وإنما غير شكل المواجهة؛ فواجه تزيف

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٢١﴾

الإعلام بالحقيقة، وانهيار الأخلاق بالدعاء والترية، ومحاولة طمس كربلاء بالبكاء والشعائر، وضعف الأمة بصناعة الإنسان الواعي.

وأهم رسالة معاصرة يريد إيصالها هي: إنّ حماية الدين والهوية اليوم لا تتحقق بردود الأفعال ولا بكثرة الضجيج، وإنما ببناء الإنسان، وإنتاج الوعي، وامتلاك أدوات الإعلام والثقافة والتقنية، مع الحفاظ على العقيدة والأخلاق والأصالة.

إنّ المسؤولية تقع على عاتق المؤمنين الرساليين والدعاة والمبلغين وطلبة الحوزة العلمية وفضلائها في أن يغتنموا هذه النظرة المتجددة، ويستلهموا منها البصائر العملية، ليتحوّل التفسير من حروف على الورق إلى نهج يصنع به الواقع ويهدّب به السلوك.

﴿٢٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

نسأل الله العليّ القدير أن يوفّق سماحة المرجع
الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) لكل خير، ويسدّد خطاه،
ويحفظه من كل سوء، ويطيل في عمره الشريف، ليبقى
خادماً للقرآن الكريم، وناشراً لشريعة سيد المرسلين
(صلى الله عليه وآله)، وحامياً لمذهب أمير المؤمنين وأهل بيته
الطاهرين (عليهم السلام)، إنه سميع الدعاء قريب مجيب.

هادي الكعبي

النجف الأشرف

٢٧/محرم الحرام/١٤٤٨ هـ

١٣ / تموز / ٢٠٢٦ م

أدوات الإمام السجّاد (عليه السلام)

في

مواجهة الحرب الناعمة

كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله) في مكتبه بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي
بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في ٢٥ / محرم / ١٤٤٨ هـ
الموافق ٢٠٢٦/٧/١١.

أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب

الناعمة^(١)

بعد أن انتهى الإمام السجاد (عليه السلام) من خطابه على أهل الكوفة حينما دخلها مع نساء أهل البيت (عليهم السلام) أسارى، وعرقهم الجريمة النكراء التي ارتكبوها بقتلهم سيد شباب أهل الجنة وسبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار وأصحابه المنتجبين.

«...فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ: نَحْنُ كُلُّنَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ سَامِعُونَ مَطِيعُونَ حَافِظُونَ لِدِمَامِكَ غَيْرَ زَاهِدِينَ

١ - كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبته بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في ٢٥ / محرم / ١٤٤٨ الموافق ١١ / ٧ / ٢٠٢٦.

﴿٢٦﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

فيكَ، وَلَا رَاغِبِينَ عَنْكَ، فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ
فَإِنَّا حَرْبٌ لِحَرْبِكَ وَسَلْمٌ لِسَلْمِكَ لَنَأْخُذَنَّ تَرْتِكَ -
أَيِ الثَّارِ وَالْإِنْتِقَامِ - وَتَرْتَنَا مِمَّنْ ظَلَمَكَ وَظَلَمْنَا،
فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): هِيَ هَاتِ أَيُّهَا
الْغَدْرَةُ الْمَكْرَةُ، حِيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ،
أَتُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَمَا أَتَيْتُمْ إِلَى آبَائِي مِنْ قَبْلُ؟
كَلَّا...» (١) .

إذن لم يكن من الحكمة الانسياق وراء
الدعوات والفورات العاطفية والانخداع بها،
وهو (عليه السلام) يرى رأس أبيه الشهيد ورؤوس أهل

١ - الصحيح من مقتل سيد الشهداء (عليه السلام): ١٠٤٦ عن المناقب ٤

/ ١١٥، بحار الأنوار: ٤٥ / ١١٢، الملهوف: ١٩٩، الاحتجاج: ٢ /

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٢٧﴾

بيته وأصحابه الشهداء على أسنة الرماح ونساؤه سبايا، بعد أن خذلته الأمة ونكلت ببيعته، فلا يوجد تغيير حقيقي في سلوكها ومبدأيتها حتى يثق به الإمام ويتحرك، لكنه (عليه السلام) لم ينسحب من ساحة المسؤولية، ولم يتخلَّ عن أداء وظائفه الرسالية الإلهية بل مضى فيها بشجاعة، لكن بغير أسلوب المواجهة المسلحة مع النظام الإرهابي لأنها تعني الانتحار من دون أي فائدة للإسلام، فاتخذ (عليه السلام) عدة أساليب تدخل في مواجهة ما يعرف اليوم بالحرب الناعمة التي تعتمد على المال والإعلام وغسل الأدمغة والعناوين المضللة وخلق الأزمات وقلب المفاهيم وإثارة العواطف والشهوات وغير

﴿٢٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

ذلك مما فصلنا فيه الكلام سابقاً^(١) ، فنقل الإمام السجاد (عليه السلام) المعركة إلى ساحة الوعي وكشف الحقائق وبناء الانسان والمجتمع الصالح، ليعيد صناعة الأمة من جديد وإعادتها إلى قرآنها العظيم، بعد أن جعل الأمويون المنكر معروفاً والمعروف منكراً بحيث صوروا الإمام الحسين (عليه السلام) خارجياً طامعاً في السلطة، حتى ساقوا الناس إلى قتل سيد شباب أهل الجنة.

ومن تلك الأدوات التي استخدمها الإمام (عليه السلام) في المواجهة:

١ - راجع قيس ﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (المائدة:

٦٤) في تفسير من نور القرآن.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٢٩﴾

١ - الإعلام من خلال وسيلته الفعالة يومئذ وهو المنبر والخطاب المشافه مع الجماهير مستثمراً قدرته على البيان وما يكتنزه من معارف وحقائق وهو ما يخشاه الطغاة ويفشلون في مواجهته: فمن اول يوم دخوله الى الكوفة ألقى خطاباً في الناس وفي مجلس الطاغية ابن زياد بين فيها عظمة أهل البيت (عليه السلام) واستحقاقهم المنزلة الرفيعة عند الله تعالى، وفضح جرائم النظام القائم والذين أيّدوه ونصروه وارتكبوا الجريمة الشنيعة بقتلهم الإمام الحسين (عليه السلام) ، وفي الشام تحدث الى الناس أيضاً في مجلس فرعون زمانه يزيد واطار نشوة النصر الذي توهمه بعد أن قال (عليه السلام) ليزيد : «...يَا زَيْدُ ائْذَنْ لِي حَتَّى أَصْعَدَ هَذِهِ الْأَعْوَادَ فَأَتَكَلَّمَ

﴿٣٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

بِكَلِمَاتٍ لِلَّهِ فِيهِنَّ رِضًا وَلِهَؤُلَاءِ الْجُلَسَاءُ فِيهِنَّ أَجْرٌ
وْثَوَابٌ، قَالَ: فَأَبَى يَزِيدٌ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَئِذْنُ لَهُ فَلْيَصْعَدِ الْمُنْبِرَ فَلَعَلَّنَا نَسْمَعُ
مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: إِنَّهُ إِنْ صَعِدَ لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا بِفَضِيحَةٍ
وَبَفْضِيحَةٍ آلِ أَبِي سَفْيَانَ فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَمَا قَدَرُ مَا يَحْسُنُ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ قَدْ
زُقُّوا الْعِلْمَ زَقًّا، قَالَ: فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَذِنَ لَهُ
فَصَعَدَ الْمُنْبِرَ...» (١) .

٢ - الدعاء حيث لم يقتصر على كونه عبادة
يتقرب بها إلى الله تعالى، وإنما كان الدعاء بحسب
التأمل في الصحيفة السجادية المباركة وسيلة

١ - بحار الأنوار (ط - بيروت)؛ ج ٤٥؛ ص ١٣٧، ١٣٨ عنه الصحيح

من مقتل سيد الشهداء (عليه السلام): ١١٣١ - ١١٣٢.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٣١﴾

للهوض بالأمّة نحو مشروع حضاري متكامل
يحفظ للامة هويتها الأصيلة من خلال تربية الأمّة
على الأخلاق الفاضلة وتعليمها عقائد الإسلام
النقية الصحيحة وليست المشوّهة التي أبتدعها أهل
العلم المتملقون للحكام، وتوثيق الصلة بالله تبارك
وتعالى وبيان وظائف العبودية وحقوقها، والتعريف
بمقامات أهل البيت (عليهم السلام) وحقهم في ولاية أمر
الأمّة والتقدم على سائر الخلق ووجوب طاعتهم
والتسليم لهم على الأمّة جميعا، كما في الصلوات
الشعبانية «...المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم
زاهق واللازم لهم لاحق...» بعد أن وصفهم (عليه السلام)
بأسمى الاوصاف «...شجرة النبوة وموضع الرسالة
ومختلف الملائكة ومعدن العلم وأهل بيت الوحي

﴿٣٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

والكهف الحصين وعصمه المعتصمين...»^(١) ولا شك أن ألقاء هذه المعاني على الأمة من أقوى أساليب المواجهة مع الحكومات الجائرة وكشف زيفها وإبطال دعاواها.

٣ - البكاء: فكانت الدمعة على ما جرى على أبيه الحسين (عليه السلام) لا تفارقه ويختلط بها طعامه وشرابه حتى عدّ من البكائين فعن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: الْبَكَاءُ وَنَخْمَةُ آدَمَ وَيَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، ... - الى ان قال -، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَبَكَى عَلَى الْحُسَيْنِ (عليه السلام) عَشْرِينَ سَنَةً أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَا وَضَعَ بَيْنَ

١ - مفاتيح الجنان: ٢٨٨ عن البلد الأمين، ج ١، ص ١٨٦.

في مواجهة الحرب الناعمة..... ﴿٣٣﴾

يَدِيهِ طَعَامٌ إِلَّا بَكَى حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ: جَعَلْتَ
فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ
مِنَ الْهَالِكِينَ، قَالَ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى
اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إِنِّي لَمْ أَذْكُرْ
مَصْرِعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا خَنَقْتَنِي لِذَلِكَ عِبْرَةً^(١)،
وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو حَمْزَةَ الثَّمَالِي قَالَ لَهُ مَشْفِقًا: «يَا
سَيِّدِي أَمَا أَنْ لِحُزْنِكَ أَنْ يَنْقُضِيَ وَلِبِكَائِكَ أَنْ تَقْلَّ؟
فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ، إِنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
(عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ نَبِيًّا ابْنَ نَبِيٍّ كَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ابْنًا فَغِيبَ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَشَابَ رَأْسُهُ مِنَ الْحُزَنِ
وَاحْدُودَبَ ظَهْرُهُ مِنَ الْغَمِّ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ مِنَ الْبُكَاءِ
وَابْنُهُ حَيٌّ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأَنَا فَقَدْتُ أَبِي وَأَخِي

﴿٣٤﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

وَسَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي صَرَعَى مَقْتُولِينَ فَكَيْفَ
يَنْقَضِي حُزْنِي وَيَقِلُّ بَكَائِي؟...»^(١)، ونقل أنه (عليه السلام)
مرّ في سوق القصابين فيسمع جزاراً يقول لغلامه:
هل سقيت الكباش ماءً فيلتفت الإمام (عليه السلام) إلى
الجزار ويقول له: أنتم معاشر القصابين لا تذبحون
الكبش حتى تسقوه الماء قال: نعم سيدي يا ابن
رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لكن أبي الحسين (عليه السلام)
ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذبحوه عطشاناً إلى
جنب الفرات).

فكان بكأؤه (عليه السلام) ثورة صامته ينشر من
خلالها مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ويوقظ الناس

١ - اللهوف / ١١٥، وينايع المودة: ٩٣ / ٣، والعوالم / ٤٤٦، ولواعج

الأشجان / ٢٤٢، وبحار الأنوار: ٤٥ / ١٤٧.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٣٥﴾

الى ظلم وجور السلطة الحاكمة، وليس بكاء
الضعيف المهزوم العاجز عن فعل شيء وقد
أثمرت هذه المظلومية تفجّر الثورات ضد السلطة
الجائرة حتى تقويض الدولة الأموية وكان أولها
ثورة أهل المدينة وواقعة الحرة في السنة التالية
لاستشهاد الامام الحسين (عليه السلام).

٤ - نشر الحوزات العلمية في أرجاء العالم
الإسلامي لصناعة القادة والمبّلّغين الذين يحفظون
المشروع الربّاني ويوصلونه إلى البشر جميعاً،
والاهتمام بالتنوع وعدم التعويل على العدد، وكانت
خطته (عليه السلام) في ذلك شراء العبيد وابقاؤهم مدة
عنده ليفقههم في الدين حتى إذا أطمأن الى
قابليتهم على تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس

﴿٣٦﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

أعتقهم وزودهم بمؤونة حياتهم، وكان هؤلاء ينتشرون في البلدان ويعرفون الناس علم الإمام (عليه السلام) وأخلاقه، حيث كان لا يوبخ أحداً من عبيده على خطأ ارتكبه ولا يزجره وإنما يسجل خطاه حتى إذا كان اليوم الأخير من شهر رمضان جمعهم وأطلعهم على ما دون ثم يعفو عنهم فعن محمد بن عجلان قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: كان علي بن الحسين (عليه السلام) إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة، وكان إذا أذنب العبد والأمة، يكتب عنده: أذنب فلان، أذنبت فلانة يوم كذا وكذا ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٣٧﴾

وَجَمَعَهُمْ حَوْلَهُ ثُمَّ أَظْهَرَ الْكِتَابَ، ثُمَّ قَالَ: يَا فُلَانُ،
فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا وَلَمْ أُؤَدِّبْكَ أَتَذْكُرْ ذَلِكَ؟

فَيَقُولُ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى
آخِرِهِمْ وَيَقَرِّرَهُمْ جَمِيعًا... اذْهَبُوا فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ
وَأَعْتَقْتُ رِقَابَكُمْ رَجَاءً لِلْعَفْوِ عَنِّي وَعَتَقَ رِقَبَتِي
فَيُعْتَقُهُمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْفِطْرِ أَجَازَهُمْ بِجَوَائِزَ
تَصُونُهُمْ وَتُغْنِيهِمْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَمَا مِنْ سَنَةٍ
إِلَّا وَكَانَ يُعْتَقُ فِيهَا فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
مَا بَيْنَ الْعَشْرَيْنِ رَأْسًا إِلَى أَقْلٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَكَانَ يَقُولُ:
إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ
الْإِفْطَارِ سَبْعِينَ أَلْفَ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ كُلًّا قَدْ
اسْتُوجِبَ النَّارَ...^(١).

﴿٣٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

٥ - إقامة الشعائر الحسينية وديمومتها فقد أسس (عليه السلام) زيارة الأربعين حينما قرّر العودة إلى كربلاء لزيارة أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) بعد انتهاء أسرهِ في الشام ولم يرجع مباشرة إلى المدينة وأسس للمجالس الحسينية ويستثمر كل مناسبة لأقامتها وكان يقول (عليه السلام): (وَاللّٰهُ، مَا نَظَرْتُ إِلَى عَمَّاتِي وَأَخَوَاتِي إِلَّا وَخَنَقَتْنِي الْعَبْرَةُ، وَتَذَكَّرْتُ فِرَارَهُنَّ يَوْمَ الطَّفِّ مِنْ خِيْمَةٍ إِلَى خِيْمَةٍ، وَمِنْ خَبَاءٍ إِلَى خَبَاءٍ، وَمَنَادِي الْقَوْمِ يَنَادِي: أَحْرِقُوا بَيْوتَ الظَّالِمِينَ...) (١)

أيها الأحبة:

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٣٩﴾

إن الإمام السجاد (عليه السلام) يكشف لنا من خلال هذه الأدوات خطورة الحرب الناعمة التي مارسها الأمويون حتى أصبح الدين غريباً وقادة الأمة الحقيقيون - وهم أهل البيت (عليهم السلام) - معزولين ومحاصرين وابتعد عنهم الناس لذا حمل الأمة مسؤولية التصدي لهذه الحرب الناعمة بالأدوات والوسائل المتاحة حتى هزم أعتى آلة إعلامية مضللة قادها الأمويون بمباركة حملة العلم الطالبين للدين، فعلياً أن نحول سيرة الامام السجاد (عليه السلام) الى مشروع حضاري متكامل في مواجهة الحرب الناعمة بالأدوات التي تناسب كل عصر وكل مجتمع بإذن الله تعالى وتأييده.

﴿٤٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

إن الحرب الناعمة بأساليبها المموّهة
والمجهّزة بأقوى أدوات التأثير ومنها وسائل
التواصل الاجتماعي وصناع المحتوى والذكاء
الأصطناعي والأعمال الفنية لها أشدّ فتكاً بالأمم
من الحروب العسكرية لأنها تنخر كيان الأمة من
داخلها وتمسّخ هويتها وتغيّر ثقافتها وقناعاتها إلى
العكس ويصبح العدو صديقاً والصديق عدواً وقد
يدافع المجتمع عن عقيدة عدوه وثقافته
وأيدولوجيته وهو يعتقد أن هذا مشروع، أما
الحرب العسكرية فهي توحد الأمة وتكشف عن
أعدائها.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٤١﴾

وقد تعلمنا من الأمام السجاد (عليه السلام) دروس:

١ - إن إقامة الدين وإصلاح الأمة لا تكون بالحركات العاطفية وردود الأفعال الآنية وإنما بصناعة الإنسان المؤمن الرسالي الذي يستوعب القرآن ويعرف ملابسات الواقع ويحمل هم الرسالة بإخلاص وأمانة، وإن المادة الرئيسة لهذا المصنع الحوزات العلمية والجامعات والمؤسسات الثقافية والتربوية.

٢ - الأهتمام بأحقاق الحق في مختلف الميادين: السلوك، القوانين، الأعراف ، الثقافة ؛ فأن ذلك كفيل بإزهاق الباطل ودفعه قال تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١) وقال تعالى ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ

﴿٤٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

جَفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ ﴿١٧﴾
(الرعد: ١٧) وعدم الانشغال بالقال والقال والقيل وإضاعة
الوقت في ما يفتريه الآخر فإن هذه تستنزف
الطاقات في مواجهات ليست هي ساحتنا الاساسية
والصحيح أن نملاً الدنيا بالعمل الصالح والحجج
القوية ونشر الحقائق فإن هذا كفيل بجعل ما يفعله
الآخر هباءً منثوراً بإذن الله تعالى.

٣ - ترسيخ مبدأ أن إصلاح السلطة يبدأ من
إصلاح الفرد والمجتمع لأنها نتاجهما اما التوجه
إلى تغيير السلطة من دون تغيير حقيقي في
المجتمع فإنه غير مثمر، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ
مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(١) (الرعد: ١١)

١ - راجع تفسير الآية في تفسير من نور القرآن.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٤٣﴾

وقد اختصرت الفكرة في كلمة: إن مشروعنا تغيير الظلم وليس فقط تغيير الظالم إذ قد يأتي ظالم آخر بدلاً عنه.

٤ - إقامة الشعائر الدينية وإدامتها بالشكل الذي يقوِّي الدين ويحافظ عليه وينشر منهج أهل البيت (عليهم السلام) ويأخذ بالمجتمع في طريق الهدى والصلاح إمتثالاً لأمر الإمام الصادق (عليه السلام) حينما قال للفضيل بن يسار: «يا فضيل تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إنَّ تلك المَجالسَ أحبُّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيَّا أمرنا...»^(١).

شرح خطاب
أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)
في
مواجهة الحرب الناعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا
ونبيينا أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين،
واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

تمهيد: معركة كربلاء لم تنتهِ في عاشوراء

إنّ من الخطأ أن نقرأ واقعة كربلاء على أنّها
معركة عسكرية بدأت في يوم عاشوراء وانتهت باستشهاد
الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه؛ لأنّ كربلاء
كانت فصلاً من معركة أوسع بين الإسلام المحمدي
الأصيل وبين المشروع الأموي الذي أراد الاحتفاظ باسم
الإسلام، مع تفرّغه من قيمه ومضمونه.

﴿٤٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

لقد استطاع الأمويون أن يقتلوا الإمام الحسين (عليه السلام) جسداً، لكنهم لم يستطيعوا أن يقتلوا قضيته، وكانوا يعلمون أن بقاء هذه القضية حيّة في ضمير الأمة سيحوّل انتصارهم العسكري المؤقت إلى هزيمة أخلاقية وتاريخية دائمة.

ومن هنا بدأت المرحلة التي تحمّل مسؤوليتها الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ومعه السيدة زينب الكبرى وبقية نساء أهل البيت (عليهم السلام)، وكانت هذه المرحلة لا تقلّ خطورةً عن مرحلة المواجهة في الطف؛ لأنّ المطلوب فيها كان إنقاذ الوعي الإسلامي، وكشف التزييف، ومنع السلطة من كتابة القصة بالطريقة التي تخدمها.

فقد كان بنو أمية يمتلكون المال والسلطة والجنود والمنابر والقضاة والرواة، وكان بإمكانهم أن يقولوا للناس: لقد قتل الحسين (عليه السلام) لأنّه خرج على إمام زمانه، أو لأنّه

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٤٩﴾

شقّ عصا المسلمين، أو لأنّه طلب السلطة، وكان من الممكن أن تمرّ هذه الرواية على أجيال من المسلمين لولا المواقف العظيمة التي قام بها الإمام السجاد (عليه السلام) والعقيلة زينب (عليها السلام).

ومن هنا نفهم أنّ الدور الذي أدّاه الإمام السجاد (عليه السلام) لم يكن دور الناجي من المعركة فحسب، وإنما كان دور الإمام الذي انتقلت إليه مسؤولية حفظ الدين وإدارة الأمة في واحدةٍ من أشدّ المراحل خطورةً واضطراباً.

عدم الانخداع بالدعوات العاطفية

يقول سماحة المرجع العنقوبي (دام ظله):

(بعد أن انتهى الإمام السجاد (عليه السلام) من خطابه على أهل الكوفة حينما دخلها مع نساء أهل البيت (عليهم

﴿٥٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

السلام) أسارى، وعرفهم الجريمة النكراء التي ارتكبوها بقتلهم سيد شباب أهل الجنة وسبط رسول الله (ﷺ) وأهل بيته الأطهار وأصحابه المنتجبين .

«... فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ: نَحْنُ كُلُّنَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ سَامِعُونَ مُطِيعُونَ حَافِظُونَ لِدِمَامِكَ غَيْرُ زَاهِدِينَ فِيكَ، وَلَا رَاغِبِينَ عَنْكَ، فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ فَإِنَّا حَرْبٌ لِحَرْبِكَ وَسَلَامٌ لِسَلَامِكَ لِنَأْخُذَنَّ تَرْتِكَ - أي الثأر والانتقام - وَتَرْتَنَا مِمَّنْ ظَلَمَكَ وَظَلَمْنَا، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): هِيَاتِ أَيُّهَا الْغَدْرَةُ الْمَكْرَةُ، حِيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَمَا أَتَيْتُمْ إِلَى آبَائِي مِنْ قَبْلُ؟ كَلَّا...»^١

الشرح:

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٥١﴾

كان أهل الكوفة يعيشون في تلك اللحظة حالة من الصدمة والندم؛ فقد رأوا أبناء رسول الله (ﷺ) سبايا، وشاهدوا رؤوس الشهداء مرفوعةً على الرماح، وأدرك كثير منهم فداحة الجريمة التي وقعت.

ومن الطبيعي أن تتفجر العاطفة في مثل هذه المواقف، وأن ترتفع الأصوات بالندم والاستعداد للنصرة، لكن الإمام السجاد (عليه السلام) لم يسمح للحظة العاطفية أن تخذعه، ولم يتعامل مع الكلمات الكبيرة بوصفها دليلاً كافياً على التغيير.

لقد كان هؤلاء الناس أنفسهم قد كتبوا إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، وأرسلوا إليه آلاف الرسائل، ووعده بالنصرة، ثم تركوه وحيداً، بل تحول قسم منهم إلى جيشٍ يقاتله.

﴿٥٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

ولذلك كان الإمام السجاد (عليه السلام) واعياً للفارق بين الانفعال الآني والتحول الحقيقي.

فالإنسان قد يتأثر بخطبة، أو يبكي في مجلس، أو يندم في لحظة، لكن هذا التأثير لا يعني بالضرورة أن شخصيته قد تغيرت، إن صدق التوبة لا يقاس بكمية الدموع وحدها، ولا بارتفاع الصوت، وإنما يقاس بالثبات عند الاختبار، وبالاستعداد لتحمل كلفة الموقف.

لقد سمع الإمام السجاد (عليه السلام) كلمات الحماس، لكنه كان ينظر إلى السلوك والتاريخ والواقع النفسي والاجتماعي لهؤلاء الناس، وكان يعرف أن المشكلة لم تكن في أنهم لم يسمعوا الحق، بل في أنهم لم يثبتوا عليه عندما اقتضى الحق تضحية ومواجهة وخسارة للمصالح.

وهذا درسٌ بالغ الأهمية لكل الحركات الإصلاحية والدينية؛ فلا ينبغي أن تنخدع بالكثرة

﴿٥٣﴾.....في مواجهة الحرب الناعمة.

المتحمسة، ولا بالشعارات، ولا بالتصفيق، ولا بالتأييد الإلكتروني والإعلامي؛ لأنّ جمهور الحماسة قد يتفرق عند أول امتحان، وربما يتحول بعضه إلى الجهة المقابلة إذا تعارض المشروع مع مصالحه.

العاطفة مطلوبة ولكنها لا تكفي!

لا يعني هذا ذمّ العاطفة أو إلغائها؛ فالعاطفة الصادقة طاقة عظيمة تحرك الإنسان نحو الخير، وحبّ أهل البيت (عليه السلام) عاطفة مقدسة، والبكاء على الحسين (عليه السلام) من شعائر الولاء، لكنّ العاطفة إذا لم تُضبط بالعقل والبصيرة قد تقود إلى قرارات خاطئة، وقد يستغلها الآخرون لتوجيه الناس نحو مشاريع لا يعرفون أهدافها ونتائجها؛ لذلك يجمع المنهج الإسلامي بين حرارة القلب ونور العقل، فلا نريد إنساناً بارداً لا يتأثر بالمظلومين، ولا

﴿٥٤﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

نريد في الوقت نفسه إنساناً مندفعاً يستفز بكلمة، ويتخذ قراراته تحت ضغط الغضب والحماس.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^١، فالدعوة تحتاج إلى بصيرة، والنصرة تحتاج إلى بصيرة، والموقف السياسي والاجتماعي يحتاج إلى بصيرة.

من اللياقة الأخلاقية ألا نعطي وعوداً لا نفي بها

ومن الدروس الأخلاقية في هذا الموقف أن الإنسان ينبغي ألا يطلق وعوداً أكبر من قدرته وإرادته، فقد يقول شخص في لحظة حماس: أنا مستعد لكل شيء، وسأفعل وأفعل، ثم يتراجع عندما يأتي وقت التنفيذ.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٥٥﴾

ومن لياقات المؤمن أن يكون صادقاً في وعده،
وأن يزن كلماته قبل أن يقولها؛ لأنّ الكلمة دين، والوعد
مسؤولية، والمؤمن لا يجعل لسانه أداة للمبالغة أو
الاستعراض.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾!

فليس العيب أن يعترف الإنسان بأنّ قدرته
محدودة، وإنما العيب أن يدعي ما لا يستطيع، ثم يخذل
المشروع والناس عند الحاجة إليه.

الحكمة ليست استسلاماً

ثم يكمل سماحة المرجع العقبوي (دام ظله) بقوله:

﴿٥٦﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

(...إذن لم يكن من الحكمة الانسياق وراء الدعوات والفورات العاطفية والانخداع بها، وهو(عليه السلام) يرى رأس أبيه الشهيد ورؤوس أهل بيته وأصحابه الشهداء على أسنة الرماح ونساؤه سبايا، بعد أن خذلتهم الأمة ونكلت ببيعته، فلا يوجد تغير حقيقي في سلوكها ومبدأيتها حتى يثق به الإمام ويتحرك، لكنه (عليه السلام) لم ينسحب من ساحة المسؤولية، ولم يتخلّ عن أداء وظائفه الرسالية الإلهية بل مضى فيها بشجاعة، لكن بغير أسلوب المواجهة المسلحة مع النظام الإرهابي لأنها تعني الانتحار من دون أي فائدة للإسلام...)^١

الشرح:

هنا تظهر عظمة القيادة عند الإمام السجاد (عليه السلام)، فقد كان يستطيع أن يرفع شعار الثأر الفوري، وأن يدخل

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٥٧﴾

في مواجهة مسلحة غير متكافئة، وأن يقتل هو ومن بقي معه، ثم يقال بعد ذلك إنه كان شجاعاً.

لكن الشجاعة في منطق أهل البيت (عليه السلام) ليست اندفاعاً أعمى، وليست مجرد الاستعداد للموت، وإنما هي الاستعداد للقيام بما تفرضه المسؤولية، سواء كان ذلك قتالاً أو صبراً أو تعليمًا أو بناءً طويل المدى.

لقد قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) في الظرف الذي كان القتال فيه هو الواجب، وحفظ الإمام السجاد (عليه السلام) الخط الإمامي في الظرف الذي أصبح فيه الحفاظ على الوجود الرسالي وتربية الأمة هو الواجب.

ولا تناقض بين الموقفين؛ لأن كليهما انطلق من تشخيص التكليف الإلهي، لا من المزاج الشخصي أو الرغبة في تسجيل موقف بطولي.

﴿٥٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

إنَّ بعض الناس يتصور أنَّ القيادة الشجاعة هي التي تختار دائماً أعلى درجات التصعيد، لكنَّ القيادة الحكيمة هي التي تختار الوسيلة الأكثر تحقيقاً للهدف والأقل إهداراً للطاقات.

وقد يكون التراجع التكتيكي شجاعةً، وقد يكون الصمت في موضعٍ معين حكمة، كما قد يكون الصمت في موضع آخر خيانة. والميزان في ذلك هو رضا الله والمصلحة الحقيقية للدين والأمة.

المسؤولية تتغير أدواتها ولا تتوقف

لم يقل الإمام السجاد (عليه السلام): إنَّ الساحة قد ضاعت، وإنَّ الأمة لا تستحق، وإنَّ الناس خذلونا، فلنعتزلهم؛ بل بقي يتحرك من أجل إصلاحهم على الرغم من أنَّهم كانوا سبباً في فاجعته.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٥٩﴾

وهنا درس أخلاقي عظيم: أن المصلح لا يجعل تقصير الناس مبرراً لترك مسؤوليته، نعم، قد يغير أسلوبه، وقد يقلل مساحة الثقة، وقد يعيد حساباته، لكنه لا يتخلى عن رسالته، إنَّ الإنسان الرسالي لا يعمل لأنَّ الناس يصفقون له، ولا يتوقف لأنَّهم خذلوه، بل يعمل لأنَّ الله حمَّله مسؤولية.

وهذا هو الإخلاص الحقيقي: أن تواصل أداء الواجب حتى عندما لا تجد التقدير، وحتى عندما يسيء الناس فهمك، وحتى عندما لا ترى النتائج السريعة.

ليس كل صدامٍ بطولة

قد يدفع الحماس بعض الشباب إلى تصور أنَّ كل مواجهة مباشرة هي بطولة، وأنَّ كل خطاب هادئ ضعف، وأنَّ كل صبر تنازل، لكنَّ سيرة الإمام السجاد (عليه السلام) تكشف خطأ هذا الفهم، فقد كان أشجع الناس،

﴿٦٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

ومع ذلك لم يدخل في مواجهة مسلحة؛ لأنها لم تكن
منتجةً في ذلك الظرف.

فإذا كانت المواجهة تؤدي إلى ضياع المشروع
والقضاء على حملته من دون نتيجة معتبرة، فإنَّ الإقدام
عليها ليس شجاعاً، بل سوء تقدير، والإسلام لا يريد من
أتباعه أن يهدروا أنفسهم، بل يريد أن يوظفوا طاقاتهم
في خدمة الحق وفق الحكمة والتخطيط.

نقل المعركة من ساحة السلاح إلى ساحة الوعي

ثم يلفت سماحة المرجع العنقوبي (دام ظله) الى
الأساليب التي استخدمها الإمام (عليه السلام) فيقول:

(... فانخذ (عليه السلام) عدة أساليب تدخل في مواجهة ما

يعرف اليوم بالحرب الناعمة التي تعتمد على المال
والإعلام وغسل الأدمغة والعناوين المضللة وخلق

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٦١﴾

الأزمات وقلب المفاهيم وإثارة العواطف والشهوات وغير ذلك مما فصلنا فيه الكلام سابقا، فنقل الإمام السجاد (عليه السلام) المعركة إلى ساحة الوعي وكشف الحقائق وبناء الانسان والمجتمع الصالح، ليعيد صناعة الأمة من جديد وإعادتها إلى قرآنها العظيم، بعد أن جعل الأمويون المنكر معروف والمعروف منكر بحيث صوروا الإمام الحسين (عليه السلام) خارجيا طامعا في السلطة، حتى ساقوا الناس إلى قتل سيد شباب أهل الجنة...^١

الشرح:

الحرب الناعمة هي الحرب التي تستهدف الإنسان من داخله، ففي الحرب العسكرية يكون العدو واضحا، والجيش معروفاً، والسلاح ظاهراً، أما في الحرب الناعمة

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

﴿٦٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

فقد تدخل الفكرة إلى عقل الإنسان من دون أن يشعر بأنها فكرة خصمه، وقد يتبنى الإنسان ثقافة عدوه، ويدافع عنها، ويهاجم أبناء أمته، وهو يظن أنه يمارس حريته واستقلاله.

والحرب الناعمة لا تبدأ عادةً بإنكار الدين علناً، بل تبدأ بتغيير المفاهيم تدريجياً؛ فقد يقدّم التدين على أنه تخلف، والعفة على أنها عقدة، والغيرة على أنها مرض نفسي، والأسرة على أنها قيد، والالتزام على أنه حرمان، والانحلال على أنه حرية، ومع مرور الزمن تتغير اللغة، ثم تتغير القناعات، ثم يتغير السلوك، ثم يصبح المجتمع نفسه مدافعاً عن القيم التي كانت بالأمس مرفوضةً عنده.

وهذا ما فعله المشروع الأموي بصورة تناسب عصره؛ فقد بقي القرآن يُقرأ، والصلاة تُقام، والحج موجوداً، لكنّ المفاهيم الكبرى جرى تحريفها، أصبح الخليفة هو من استولى على السلطة وإن كان فاسقاً،

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٦٣﴾

وأصبحت طاعته دينًا، وأصبح الاعتراض عليه خروجًا على الإسلام، وأصبح الإمام الحسين (عليه السلام) في الإعلام الرسمي صاحب فتنة، وهذه هي أخطر مراحل الانحراف: عندما لا يلغى الدين، بل يستخدم الدين نفسه لتبرير الانحراف.

إعادة الأمة إلى القرآن

أراد الإمام السجاد (عليه السلام) أن يعيد بناء العلاقة الصحيحة بين الأمة والقرآن؛ لأنّ القرآن ليس كتاب تلاوة وبركة فحسب، بل هو ميزانٌ تعرض عليه الأفكار والاتجاهات والسلطات والمواقف، ومن يفهم القرآن لا يمكن أن يقبل أن يكون يزيد ممثلًا لرسول الله، ولا يمكن أن يساوي بين الحسين (عليه السلام) قاتلًا والحسين (عليه السلام) مقتولًا، ولا بين الظالم والمظلوم.

﴿٦٤﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

ولهذا كانت معركة الوعي معركة قرآنية؛ لأن القرآن يعيد ترتيب المفاهيم:

- ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^١.
- ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾^٢ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^٣.
- ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^٣.

فلا يمكن للظالم أن يصبح إمام هداية بمجرد امتلاكه السلطة.

١ - الزمر : ٩.

٢ - القلم : ٣٥-٣٦.

٣ - البقرة : ١٢٤.

صناعة الإنسان قبل السيطرة على المؤسسات

لقد فهم الإمام السجاد (عليه السلام) أن إصلاح المجتمع لا يبدأ دائماً من قمة السلطة، وإنما يبدأ من بناء الإنسان الذي لا يسمح للسلطة المنحرفة أن تستخدمه، فالنظام الظالم لا يعمل وحده، بل يحتاج إلى قاضٍ يبرر، وعالمٍ يزور، وإعلامي يضلل، وتاجر يموله، وجندي ينفذ، وجمهور يخاف أو يطمع أو يسكت، فإذا بني الإنسان المؤمن الواعي، ضاقت مساحة عمل الظالم، حتى لو بقي في السلطة مدةً من الزمن.

ومن هنا كانت الأولوية عند الإمام (عليه السلام) لصناعة الإنسان: عقيدته، وأخلاقه، ووعيه، وعلاقته بالله، وإحساسه بالمسؤولية.

الإعلام والمنبر والخطاب

ثم يشرع سماحة المرجع العقبوبى (دام ظله) فى تعداد الأدوات التى استخدمها الإمام (عليه السلام) فىقول:

(...ومن تلك الأدوات التى استخدمها الإمام (عليه السلام) فى المواجهة:

١ - الإعلام من خلال وسيلته الفعالة يومئذ وهو المنبر والخطاب المشافه مع الجماهير مستثمر قدرته على البيان وما يكتنزه من معارف وحقائق وهو ما يخشاه الطغاة ويفشلون فى مواجهته: فمن أول يوم دخوله الى الكوفة ألقى خطب فى الناس وفى مجلس الطاغية ابن زياد بين فيها عظمة أهل البيت (عليهم السلام) واستحقاقهم المنزلة الرفيعة عند الله تعالى، وفضح جرائم النظام القائم والذين أيدوه ونصروه وارتكبوا الجريمة الشنيعة بقتلهم الإمام الحسين (عليه السلام)، وفى الشام تحدث الى

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٦٧﴾

**الناس أيضا في مجلس فرعون زمانه يزيد واطار نشوة
النصر الذي توهمه (...)^١.**

الشرح:

كان النظام الأموي يملك المنابر الرسمية، وكانت
خطب الجمعة تستخدم لترويج سياسة الدولة، بل وصل
الأمر إلى سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)
على المنابر عقوداً من الزمن.

وفي ظل هذه السيطرة الإعلامية كان صوت الإمام
السجاد (عليه السلام) يبدو من الناحية المادية صوتاً ضعيفاً؛ فهو
أسير محاط بالحراس، ولا يملك قناة ولا جيشاً ولا حزباً،
لكن قوة الخطاب لا تقاس فقط بحجم المنبر الذي يصدر

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب
الناعمة.

﴿٦٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

منه، وإنما تقاس بصدق المتكلم، ووضوح الحجة،
واستعداد القلوب لسماع الحقيقة.

لقد جاء كلام الإمام (عليه السلام) في لحظة كانت
الرواية الأموية فيها قد بدأت تتصدع، فالناس في الشام
ربما قيل لهم إنّ هؤلاء خوارج أو متمرّدون، ثم وقف
أمامهم شاب من أبلغ الناس، يعرفهم بنفسه ونسبه إلى
رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويكشف لهم أنهم أمام أبناء النبي
(صلى الله عليه وآله) لا أمام أسرى من بلاد غريبة.

إنّ التعريف بالنفس كان في ذاته هدماً للإعلام
الأموي؛ لأنّ السلطة كانت تعتمد على التجهيل، فإذا عرف
الناس من هو علي بن الحسين (عليه السلام)، ومن هو أبوه، ومن
هي عمته زينب (عليها السلام)، سقطت القصة الرسمية.

الإعلام المضلل يبدأ بحجب المعلومات

من وسائل الحرب الناعمة أن تمنع الناس من رؤية الصورة كاملةً، وأن تقدم لهم جزءاً من الحقيقة يخدم غرضك، فقد يذكر أن شخصاً عارض الدولة، ولا يذكر سبب معارضته، ويقال إن جماعةً أحدثت اضطراباً، ولا يذكر الظلم الذي وقع عليها. ويعرض رد فعل المظلوم، ويخفي فعل الظالم الذي سبقه.

ولهذا كان الإمام (عليه السلام) يعيد تقديم القصة كاملةً: نحن أهل بيت النبوة، وأبونا الحسين سبط رسول الله (عليه السلام)، وقد قتل مظلوماً، وهذه نساؤه سبايا.

مواجهة الإعلام لا تكون بالصراخ

لم يعتمد الإمام (عليه السلام) على الشتيمة والسباب، ولم يجعل خطابه فوضى انفعالية، بل قدّم الحقائق، وذكر

﴿٧٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

الناس بالقرآن وبمكانة أهل البيت (عليهم السلام)، وأقام الحجة، وهذا منهج مهم في الخطاب الديني والإعلامي المعاصر؛ فارتفاع الصوت لا يعوّض ضعف الحجة، وكثرة الاتهامات لا تثبت صحة الموقف.

ينبغي للخطاب الرسالي أن يكون واضحاً، موثقاً، هادئاً عند الحاجة، قوياً من دون إسفاف، وأن يحترم عقل المتلقي، فمن اللياقة العامة ألا نرد على الإساءة بإساءة، وألا نستعمل الكذب في مواجهة الكاذب، وألا ننشر خبراً قبل التثبت منه؛ لأنّ المؤمن مسؤول عن كلمته ونقله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^١.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٧١﴾

وهذه الآية أصبحت أكثر حضوراً في عصر وسائل التواصل؛ إذ يستطيع خبر كاذب أن يصل إلى الملايين خلال دقائق، وقد يسهم الإنسان في ظلم بريء أو تشويه سمعة أو إثارة فتنة بمجرد الضغط على زر النشر.

المنبر مسؤولية لا وجهة

إنَّ المنبر في منهج الإمام السجاد (عليه السلام) لم يكن وسيلةً للشهرة، وإنما كان أداةً لحفظ الدين وتوعية الناس. ومن يتصدى للمنبر أو الإعلام ينبغي أن يسأل نفسه:

- هل أريد أن يعرف الناس الحق، أم أريد أن يعرفوا اسمي؟

﴿٧٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

• هل أبحث عن هداية الجمهور، أم عن زيادة

المتابعين؟

• هل أقدم ما ينفع، أم ما يثير الجدل ويجلب

التفاعل؟

وقد ابتلي عصرنا أحياناً بصناعة المحتوى الذي
يعتمد على الإثارة؛ لأنّ المثير ينتشر أسرع من العميق،
لكنّ الانتشار ليس دائماً علامة نجاح، فقد ينتشر الباطل
أكثر من الحق في بعض المراحل.

المعيار الحقيقي هو: هل قرّب هذا الكلام الناس
إلى الله؟ هل زادهم علماً ووعياً وأخلاقاً؟ هل أصلح
مشكلةً أو كشف حقيقةً؟

موقف الإمام (عليه السلام) في مجلس يزيد

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٧٣﴾

ثم يتحدث المرجع اليعقوبي (دام ظله) عن موقف الإمام (عليه السلام) في فضح يزيد فيقول:

(بعد أن قال (عليه السلام) ليزيد : «... يَا يَزِيدُ ائْذَنْ لِي حَتَّى أَصْعَدَ هَذِهِ الْأَعْوَادَ فَأَتَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ لِلَّهِ فِيهِنَّ رِضَا وَلَهُؤُلَاءِ الْجُلُوسَاءِ فِيهِنَّ أَجْرٌ وَثَوَابٌ، قَالَ: فَأَبَى يَزِيدُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ائْذَنْ لَهُ فَلْيَصْعَدْ الْمَنْبَرَ فَاعْلَمْنَا نَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئٌ، فَقَالَ: إِنَّهُ إِنْ صَعِدَ لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا بِفَضِيحَتِي وَبِفَضِيحَةِ آلِ أَبِي سَفْيَانَ فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا قَدَرُ مَا يُحْسِنُ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ قَدْ زُقُّوا الْعِلْمَ زَقًّا، قَالَ: فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أُذِنَ لَهُ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ...)^١.

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

يزيد كان يعرف قوة الحقيقة

إنَّ هذه العبارة تكشف أنَّ يزيد كان واعياً لخطورة الإمام السجاد (عليه السلام)، لم يكن يراه مجرد شاب أسير، بل كان يعرف أنَّه ابن بيت العلم والنبوة، وأنَّ كلماته يمكن أن تقلب المجلس كله، وهذا يبيِّن أنَّ الطغاة قد يعرفون أهل الحق أكثر من معرفة بعض عامة الناس بهم، فهم يخشون العالم الصادق، والمفكر الواعي، والخطيب الذي لا يمكن شراؤه؛ لأنَّ هؤلاء يكشفون زيف السلطة.

لقد قال يزيد: (إنَّه من أهل بيت قد زُقوا العلم زُقا)، أي إنَّ العلم غُذِّي لهم تغذيةً، وأصبح جزءاً من كيانه وتربيتهم، فأهل البيت (عليهم السلام) لم يكونوا أصحاب ثقافة مكتسبة فقط، وإنما كانوا معدن العلم الإلهي، وورثة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

تحويل منصة العدو إلى منبر للحق

من عظمة الإمام (عليه السلام) أنه استخدم المجلس الذي أعده يزيد لإعلان انتصاره، وحوّله إلى منصة لفضح يزيد نفسه، وهذا من الذكاء الرسالي: أن يعرف الإنسان كيف يستثمر الفرص، وألا يترك الساحة كلها للباطل.

قد تكون وسيلة الإعلام من صناعة ثقافة أخرى، لكن يمكن للمؤمن أن يستخدمها لنشر الحق ما دام يحفظ دينه وهويته، فالمشكلة ليست في الوسيلة وحدها، بل في المحتوى والغاية وطريقة الاستخدام.

ولذلك لا ينبغي لأصحاب المشروع الإسلامي أن يهجروا الوسائل الحديثة، ثم يتركوها بالكامل لأصحاب المشاريع المنحرفة، بل عليهم أن يتعلموا مهارات الإعلام والتقنية والإخراج والكتابة والخطاب، وأن يقدموا الحق بأسلوب جميل ومقنع.

الجمال جزء من تبليغ الرسالة

لا يكفي أن يكون المحتوى صحيحاً، بل ينبغي أن يقدّم بطريقة تناسب المتلقي، فقد تكون لدينا فكرة عظيمة، لكننا نعرضها بأسلوب معقد أو منفّر، فيبتعد الناس عنها.

كان الإمام السجاد (عليه السلام) يمتلك البيان، ويخاطب الناس بما يفهمون، ويختار العبارة التي تدخل القلب وتقيم الحجة.

ومن هنا يحتاج الشاب الرسالي إلى الثقافة، وإتقان اللغة، وحسن التعبير، ومعرفة نفسية الجمهور، والقدرة على الاختصار عند الحاجة والتفصيل عند

﴿٧٧﴾.....في مواجهة الحرب الناعمة.

الحاجة، وهذا كله لا يعني التنازل عن الأصالة، بل يعني تقديم الأصالة بلغة العصر.

الدعاء وبناء المشروع الحضاري

ثم يواصل سماحة المرجع (دام ظله) حديثه عن الأداة الثانية التي استخدمها الامام (عليه السلام) فيقول:

(٢) - الدعاء حيث لم يقتصر على كونه عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، وإنما كان الدعاء بحسب التأمل في الصحيفة السجادية المباركة وسيلةً للنهوض بالأمة نحو مشروع حضاري متكامل يحفظ للأمة هويتها الأصيلة من خلال تربية الأمة على الأخلاق الفاضلة وتعليمها عقائد الإسلام النقية الصحيحة وليست المشوهة التي أبدعها أهل العلم المتعلقون للحكام، وتوثيق الصلة بالله تبارك وتعالى وبيان وظائف العبودية وحقوقها، والتعريف بمقامات أهل البيت (عليهم السلام) وحققهم في ولاية أمر الأمة

﴿٧٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

**والتقدم على سائر الخلق ووجوب طاعتهم والتسليم لهم
على الأمة جميعاً...)^١.**

الدعاء ليس انسحاباً من الواقع

قد يتصور بعض الناس أنّ اللجوء إلى الدعاء في زمن الظلم يعني الانسحاب من الحياة، أو استبدال العمل بالكلمات والدموع، لكنّ قراءة أدعية الإمام السجاد (عليه السلام)، وخصوصاً الصحيفة السجادية، تكشف أنّ الدعاء كان مشروعاً لتربية الإنسان من داخله، ومن ثمّ تغييره في علاقته بالمجتمع، فالإنسان لا يستطيع أن يقاوم الطغيان الخارجي إذا كان عبداً لشهوته وخوفه وطمعه، ومن لا يتحرر من داخله لا يستطيع أن يكون حراً في موقفه، لقد

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٧٩﴾

بدأ الإمام (عليه السلام) ببناء القلب والعقل؛ لأنَّ السلطة الأموية لم تكن تستند إلى السيف وحده، بل كانت تستند إلى خوف الناس، وطمع بعضهم، وتعلقهم بالدنيا، وضعف علاقتهم بالله تعالى، فإذا تربى الإنسان على أن الرزق بيد الله تعالى، وأن العمر بيد الله تعالى، وأن العزة لله عز وجل، فلن يبيع دينه من أجل مال أو منصب، ومن هنا كان الدعاء عملاً سياسياً وحضارياً بالمعنى العميق، لأنه يعيد تحرير الإنسان من العبوديات المزيفة.

الصحيفة السجادية مدرسة متكاملة

من يقرأ الصحيفة السجادية يجد فيها موضوعات واسعة:

- معرفة الله تعالى وتوحيده.
- الصلاة على محمد وآله.

- التوبة ومحاسبة النفس.
- مكارم الأخلاق.
- حقوق الوالدين والأولاد.
- الدعاء للجيران والأصدقاء.
- الاهتمام بالفقراء والمحتاجين.
- الدعاء لأهل الثغور.
- طلب العدل والرزق والعافية.
- مواجهة الهموم والمحن.
- تربية النفس على التواضع والعفو.

وهذا يعني أنّ الدعاء عند الإمام (عليه السلام) لم يكن منفصلاً عن المجتمع، بل كان يصنع الإنسان الصالح الذي يعرف حق الله تعالى وحق نفسه وحقوق الآخرين.

المعرفة العقديّة في الدعاء

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٨١﴾

كان الأمويون يريدون إبعاد الأمة عن أهل البيت (عليه السلام)، وإظهارهم بوصفهم أسرةً عادية لا حقَّ لها في قيادة الأمة، فجاءت أدعية الإمام (عليه السلام) لتعيد تعريف الناس بمقام أهل البيت (عليه السلام).

يحدثنا سماحة المرجع (دام ظله) حول ذلك فيقول:

(كما في الصلوات الشعبانية «...المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق...» بعد أن وصفهم (عليه السلام) بأسمى الأوصاف «...شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وأهل بيت الوحي والكهف الحصين وعصمه المعتصمين...» ولا شك أن ألقاء هذه المعاني على الأمة من أقوى أساليب المواجهة مع الحكومات الجائرة وكشف زيفها وإبطال دعاواها.....)^١.

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

﴿٨٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

هذه الكلمات ليست مجرد مدائح أدبية، بل تحمل رؤيةً عقديّة متكاملة، فأهل البيت (عليهم السلام) هم امتداد الرسالة، ومعدن العلم، والمرجع الذي يحفظ الأمة من الانحراف، والمتقدم عليهم، أي الذي يجعل نفسه أمامهم ويستغني عن هدايتهم، يخرج عن الطريق، والمتأخر عنهم، الذي لا يلتحق بمنهجهم، يضيع، أما اللازم لهم فهو الذي يسير في الصراط المستقيم.

وهذا يثبت أنّ الدعاء يمكن أن يكون وسيلةً للتعليم العقائدي، وأنّ العقيدة ليست مادةً نظرية جافة، بل علاقة حب وولاء وطاعة واقتداء.

الدعاء يربي على الأخلاق العامة

في دعاء مكارم الأخلاق، لا يطلب الإمام (عليه السلام) لنفسه كثرة الكلام أو الشهرة، وإنما يقول: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٨٣﴾

مُحَمَّدٌ وَآلَهُ، وَبَلَغَ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ...»، ثم يطلب أن يصل من قطعه، وأن يعطي من حرمة، وأن يقابل الغيبة بالذكر الحسن، وأن يشكر المعروف ويغضي عن السيئة، هذه هي الثورة الأخلاقية التي كان الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يريدُها، فالمجتمع الذي تسوده الأحقاد والانتقام والنميمة والأنانية لا يستطيع أن يبني دولة عدل، إنَّ مواجهة الحرب الناعمة تبدأ أيضاً من حسن الخلق؛ لأنَّ الخصم يحاول تشويه صورة المتدين وإظهاره إنساناً قاسياً، فوضوياً، سيئ التعامل، فإذا كان المؤمن صادقاً، نظيفاً، منظماً، متواضعاً، محترماً للناس، فإنه يقدم الإسلام بسلوكه قبل كلامه.

الدعاء والعمل

لا يعلمنا الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن ندعو من دون حركة؛ فالدعاء الصحيح هو الذي يمنح العمل روحه، ندعو

﴿٨٤﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

بالرزق ونسعى، وندعو بالعلم وندرس، وندعو بالنصر
ونعدّ أدوات القوة، وندعو بإصلاح المجتمع ونبدأ
بإصلاح أنفسنا، أما أن نترك الأسباب ثم نطلب النتائج،
فليس هذا هو التوكل.

التوكل أن تبذل ما تستطيع، ثم تثق بأن النتيجة بيد الله
تعالى.

البكاء وحفظ الذاكرة

ثم يعرج سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله)
فيلفت انظارنا الى الأداة الثالثة التي استخدمها الإمام
(عليه السلام) فيقول:

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٨٥﴾

(٣ - البكاء: فكانت الدمعة على ما جرى على أبيه الحسين (عليه السلام) لا تفارقه ويختلط بها طعامه وشرابه حتى عدَّ من البكائين)^١.

البكاء موقف وليس ضعفاً

من أكثر الجوانب التي اشتهر بها الإمام السجاد (عليه السلام) بكأؤه على أبيه الحسين (عليه السلام) وعلى أهل بيته (عليهم السلام) وأصحابه (رضي الله عنهم)، وقد يحاول بعض الناس تفسير هذا البكاء بوصفه حالة نفسية سلبية أو عجزاً عن تجاوز المأساة، لكن هذا التفسير سطحي؛ لأن الإمام المعصوم (عليه السلام) لا يعيش الألم بعيداً عن مسؤوليته

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

﴿٨٦﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

الرسالية، لقد كان بكاءه وسيلةً لحفظ القضية ومنعها من الغياب.

أراد الأمويون أن تنسى كربلاء، وأن تتحول إلى خبر قديم، لكن الإمام (عليه السلام) أبقى الجرح مفتوحاً في ضمير الأمة، لا طلباً للألم من أجل الألم، بل حتى لا يعتاد الناس على الجريمة، إنَّ من أخطر ما يصيب المجتمعات هو الاعتياد على الظلم، قد تقع الجريمة فيتألم الناس أولاً، ثم تتكرر الأخبار حتى تصبح الدماء أرقاماً عابرة.

أما الإمام (عليه السلام) فكان يعيد للإنسان حساسيته الأخلاقية، ويقول له: لا تنسَ أن ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قتل عطشاً، وأن نساء النبوة سبين.

الذاكرة أساس الهوية

الأمة التي تفقد ذاكرتها يسهل تضليلها؛ لأنها لا تعرف تاريخها، ولا تعرف الذين ضحوا من أجلها، ولا تعرف جذور أزماتها، ومن هنا كان البكاء الحسيني حفظًا للذاكرة الإسلامية الأصيلة، فالدعوة تسأل: لماذا خرج الحسين (عليه السلام)؟ ولماذا قتل؟ ومن الذي قتله؟ وما مسؤوليتنا تجاه أهدافه؟ وحين تتحول هذه الأسئلة إلى وعي، يصبح البكاء قوة تغيير، أما إذا بقي البكاء منفصلًا عن الأخلاق والمواقف، فإنه لا يحقق كامل غايته.

فليس من الوفاء للإمام للحسين (عليه السلام) أن نبكي عليه ثم نظلم الناس، أو نأكل أموالهم، أو نخون الأمانة، أو نسيء إلى أسرنا، أو نعتدي على حقوق الطريق والمجتمع.

﴿٨٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

الإمام الحسين (عليه السلام) لم يقتل من أجل أن نضيف
مناسبةً إلى تقويمنا، وإنما قتل لإحياء الدين والعدل
والكرامة.

الفرق بين دمعة الوعي ودمعة العادة

قد يبكي الإنسان لأنَّ الجو العام مؤثر، وقد يبكي
لأنَّه اعتاد حضور المجالس، وهذا في نفسه خير، لكنه
يحتاج إلى أن يرتقي إلى مستوى أعلى: أن يسأل نفسه
بعد المجلس:

- ما الذي سأغيره؟
- هل سأترك ذنباً؟
- هل سأصلح علاقة؟
- هل سأؤدي حقاً؟
- هل سأكون أكثر انضباطاً؟

• هل سادافع عن مظلوم؟

فالدعوة التي لا تترك أثراً في السلوك قد تفقد جزءاً كبيراً من وظيفتها التربوية.

رواية بكاء الإمام السجاد

ثم ينقل سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) لنا روايات تحدثنا عن كيفية بكاء الامام السجاد (عليه السلام) فيقول:

(فعن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: البكاءون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي بن الحسين (عليه السلام)، الى ان قال - ، وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين (عليه السلام) عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعاماً إلّا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من

﴿٩٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

الْهَالِكِينَ، قَالَ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ
مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إِنِّي لَمْ أَذْكَرْ مَصْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا
خَنَقْتَنِي لِذَلِكَ عِبْرَةً»، ودخل عليه ابو حمزة الثمالي قال
له مشفقاً: «يَا سَيِّدِي أَمَا أَنْ لِحُزْنِكَ أَنْ يَنْقُضِيَ وَلِبُكَائِكَ
أَنْ تَقِلَّ؟ فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ، إِنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ
إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) كَانَ نَبِيًّا ابْنُ نَبِيٍّ كَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ابْنًا
فَغَيَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدَ مِنْهُمْ، فَشَابَ رَأْسُهُ مِنَ الْحُزَنِ
وَاحِدُودَ بَ ظَهْرُهُ مِنَ الْغَمِّ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ مِنَ الْبُكَاءِ وَابْنُهُ
حَيٌّ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأَنَا فَقَدْتُ أَبِي وَأَخِي وَسَبْعَةَ عَشَرَ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِي صَرَخَى مَقْتُولِينَ فَكَيْفَ يَنْقُضِي حُزْنِي وَيَقِلُّ
بُكَائِي...»^١.

الشرح:

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب

الناعمة.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٩١﴾

تبين هذه الروايات أنّ بكاء الإمام (عليه السلام) كان ممتدّاً، ولم يكن موجّة عاطفية مؤقتة، وكان الناس يخشون عليه من شدة الحزن، فيجيبهم بأنّ نبي الله يعقوب (عليه السلام) بكى على يوسف (عليه السلام) حتى ابيضت عيناه، مع أنّ يوسف (عليه السلام) كان حيّاً، أما هو فقد رأى أباه وأهل بيته صرعى أمامه، وهنا ينبغي أن نفهم أن طول الحزن لا يعني تعطيل الحياة، فالإمام (عليه السلام) كان مع حزنه يعلم، ويدعو، ويربي، ويقضي حوائج الناس، ويؤدي إمامته.

إذن يمكن للإنسان أن يحمل ألماً عميقاً، لكنه يحوله إلى عمل وعطاء، لا إلى عزلة وانهيار، وهذا مهم في التربية النفسية؛ فالإسلام لا يطلب من الإنسان أن ينكر حزنه أو يتظاهر بالقوة، بل يسمح له أن يحزن ويبكي، لكنه يعلمه كيف لا يصبح أسيراً للحزن.

دمعة في سوق القصابين

ويستمر سماحة المرجع في نقل قصة أخرى عن بكاء
الامام عليه السلام فيقول :

(نُقل أنه (عليه السلام) مرَّ في سوق القصابين، فسمع جزاراً
يقول لغلامه: هل سقيت الكباش ماءً؟ فالتفت الإمام إلى
الجزار وقال: أنتم معاشر القصابين لا تذبجون الكباش
حتى تسقوه الماء؟ قال: نعم، سيدي يا ابن رسول الله.
قال: لكن أبي الحسين ريحانة رسول الله ذبحوه عطشاناً
إلى جنب الفرات)^١.

تكشف هذه القصة - بما تحمله من صورة مؤلمة
- عن التناقض الأخلاقي الذي وصلت إليه الأمة يوم

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب
الناعمة.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٩٣﴾

عاشوراء؛ فالفطرة الإنسانية تدعو إلى الرفق بالحيوان، وتمنع ذبحه قبل أن يسقى الماء، لكن القوم تجاوزوا هذه الفطرة حين منعوا الماء عن الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأطفاله، مع أن الفرات كان قريباً منهم.

إنّ الألم في هذه المفارقة لا يكمن في العطش وحده، بل في سقوط المعايير، فقد عرفوا الرحمة مع الحيوان، ثم عطلوها مع سبط رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعرفوا حرمة الضيف، ثم حاصروا من استدعوه بكتبهم، وعرفوا منزلة النبي، ثم قتلوا ريحانته وسبوا عياله.

وهذا يعلمنا أنّ الإنسان قد يحمل بعض القيم في حياته اليومية، لكنه يتخلى عنها عندما تتعارض مع مصلحته أو خوفه أو انتمائه السياسي، فقد يكون رحيماً في موقف، ثم يتحول إلى قاسٍ في موقف آخر؛ لأنّ

﴿٩٤﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

الرحمة عنده لم تصبح مبدأً ثابتاً، بل بقيت سلوكاً انتقائياً
تحكمه الظروف.

ومن هنا فإنّ مدرسة الإمام الحسين (عليه السلام) تريد
من المؤمن أن يكون صاحب مبدأ، لا صاحب موقفٍ
عابر، فالعدل لا يتجزأ، والرحمة لا تتوقف عند من نحب،
والإنسان المؤمن لا يسمح للكراهية أو التعصب أن يسلباه
إنسانيته.

كما تكشف القصة عن أنّ الإمام السَّجَّاد (عليه السلام)
كان يحمل كربلاء معه في كل مشهد من مشاهد الحياة،
فالماء يذكره بعطش أبيه (عليه السلام)، والذبيحة تذكره
بمصرعه، ورؤية العائلة تذكره بأطفال الحسين (عليه السلام)
ونسائه، لم تكن كربلاء بالنسبة إليه حادثةً مضت، بل
جرحاً حياً ورسالةً مستمرة.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٩٥﴾

لكنّ الإمام (عليه السلام) لم يجعل هذا الألم سبباً للعزلة أو اليأس، بل حوّله إلى وسيلةٍ لإيقاظ الضمير، فكلما تحدّث عن عطش الحسين أعاد طرح السؤال على الأمة: كيف وصل المسلمون إلى مرحلةٍ يمنعون فيها الماء عن ابن بنت نبيهم؟ وما الانحراف الذي جعل الضمير ينام، حتى وقعت جريمة كهذه؟

ومن الدروس المهمة في هذه القصة أنّ الرقة العاطفية وحدها لا تكفي، فقد يسقي الإنسان حيواناً، لكنه يظلم إنساناً، وقد يبكي على الحسين (عليه السلام)، لكنه يمنع حقّاً عن فقير أو ضعيف، والرحمة الحقيقية لا تكون في موقف واحد، بل تتحول إلى منهج في التعامل مع الزوجة والأولاد والعامل والفقراء والمخالفين.

إنّ الذي يتألم لعطش الحسين (عليه السلام) ينبغي أن يكون أول الناس إلى سقي العطاشى، وإطعام المحتاجين،

﴿٩٦﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

وإغاثة الملهوفين، وقضاء حوائج الناس. فالولاء لا يختبر
بالكلمات وحدها، بل بما يتركه في السلوك.

ومن المناسب أن نتساءل: هل يمكن للإنسان أن
يرفع شعار «يا ليتنا كنا معكم» وهو يقسو على من حوله؟
وهل ينسجم الحزن على عطش الحسين (عليه السلام) مع
الإسراف في الماء والطعام، أو مع عدم الاكتراث بمن لا
يجد ما يسدّ حاجته؟

إنّ ذكر عطش الإمام الحسين (عليه السلام) ليس دعوةً
إلى الحزن المجرد، بل هو دعوةٌ إلى تأسيس مجتمع
الرحمة، مجتمع لا يترك فيه جائع، ولا يذلّ فيه محتاج،
ولا يحرم إنسان من حقه بسبب انتمائه أو ضعفه.

رسالة إلى أصحاب المهن والأعمال

كما تحمل القصة رسالةً إلى أصحاب المهن والأعمال: أن يجعلوا الأخلاق جزءاً من مهنتهم، فالجزائر مسؤول عن الرفق بالحيوان، والتاجر مسؤول عن الصدق، والطبيب مسؤول عن الرحمة بالمريض، والمعلم مسؤول عن كرامة الطالب، والمسؤول مسؤول عن حقوق الناس.

فالدين لا ينفصل عن تفاصيل الحياة، والرحمة ليست شعاراً يرفع في المجالس، بل سلوكٌ يظهر في السوق والبيت والعمل والطريق.

لقد أراد الإمام السجّاد (عليه السلام) - من خلال تذكير الأمة بعطش أبيه (عليه السلام) - أن يمنعها من فقدان حساسيتها الأخلاقية، فالإنسان حين يعتاد سماع أخبار الظلم قد يتوقف عن التأثر، وحين تتكرر المآسي قد تتحول في نظره إلى أرقام.

﴿٩٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

أما مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فتريد أن يبقى القلب حيًّا، يشعر بألم الآخرين، ويرفض الظلم مهما كان المظلوم بعيداً عنه.

فالحسين (عليه السلام) لم يمنع من الماء لأنه كان ضعيف الحجة، بل لأنَّ خصومه فقدوا حريتهم الداخلية، وأصبحوا أسرى للأوامر والطمع والخوف، ولذلك فإنَّ مواجهة الظلم تبدأ من تحرير الإنسان من داخله، حتى لا يصبح أداة بيد الظالم.

البكاء كثورة صامته

ثم يشرح سماحة المرجع (دام ظله) معنى بكاء الإمام السجاد (عليه السلام) فيقول:

(فكان بكأؤه (عليه السلام) ثورة صامته ينشر من خلالها مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ويوقظ الناس الى ظلم

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿٩٩﴾

وجور السلطة الحاكمة، وليس بكاء الضعيف المهزوم العاجز عن فعل شيء وقد أثمرت هذه المظلومية تفجّر الثورات ضد السلطة الجائرة حتى تقويض الدولة الأموية وكان أولها ثورة أهل المدينة وواقعة الحرة في السنة التالية لاستشهاد الامام الحسين (×) (١).

إنّ وصف البكاء بالثورة الصامتة دقيق؛ لأنّ السلطة ربما تستطيع منع الخطب، لكنها لا تستطيع بسهولة أن تمنع الحزن من الانتشار، وكان كل من يرى الإمام (عليه السلام) يبكي يسأله عن سبب بكائه، فتروى كربلاء من جديد، وتنتقل المظلومية من بيت إلى بيت، وهكذا تحولت الذاكرة الحسينية إلى تيار أخلاقي واجتماعي أسهم في كشف الأمويين وإسقاط هيبتهم الدينية.

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

﴿١٠٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

لكن من الدقة التاريخية ألا نقول إنَّ بكاء الإمام وحده أسقط الدولة الأموية، بل نقول إنَّ مشروع إحياء المظلومية وكشف الجريمة كان من العوامل التي هدمت شرعية الحكم الأموي، وأسهمت في نشوء الرفض والثورات ضده.

صناعة الكوادر وبناء الحوزة العلمية

ثم يحدثنا سماحة المرجع (دام ظله) عن الأداة الرابعة التي استخدمها الإمام السجاد (عليه السلام) فيقول:

(٤) - نشر الحوزات العلمية في أرجاء العالم الإسلامي لصناعة القادة والمبشرين الذين يحفظون المشروع الرباني

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿١٠١﴾

**ويوصلونه إلى البشر جميعا، والاهتمام بالنوع وعدم
التعويل على العدد)^١.**

ملاحظة في التعبير

التعبير بـ(نشر الحوزات العلمية) يراد به هنا بناء المدرسة العلمية وتكوين حملة العلم، وليس المقصود أنّ الإمام (عليه السلام) أنشأ حوزات بصورتها التنظيمية المعروفة اليوم، لقد قام الإمام (عليه السلام) بتربية تلامذة ورواة وعلماء يحملون علم أهل البيت (عليهم السلام) وينشرونه في الأمة، ومهد بذلك للمرحلة العلمية الواسعة التي ازدهرت على يد الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام).

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

الاهتمام بالنوع لا بالعدد

من أكبر الأخطاء في العمل الديني والاجتماعي أن نقتن بالأعداد، فقد يكون حول المشروع آلاف الأشخاص، لكنهم لا يحملون وعياً ولا ثباتاً، فينهارون عند أول أزمة، وقد يكون مع المشروع عدد قليل، لكنهم صادقون، متعلمون، أصحاب أخلاق ومسؤولية، فيغيرون المجتمع، لقد بدأ الإسلام بأفراد قليلين، لكن نوعية هؤلاء صنعت التاريخ.

ومن هنا فإنّ صناعة عشرة قادة واعين قد تكون أهم من جمع ألف شخص في نشاطٍ مؤقت، والتنوعية تعني:

- وضوح العقيدة.
- المعرفة بالقرآن والسنة.
- حسن الأخلاق.
- الانضباط.

- القدرة على العمل الجماعي.
- الصبر على المشكلات.
- الاستعداد للتضحية.
- فهم الواقع.
- امتلاك مهارات التواصل والتأثير.

العلم وحده لا يكفي

كان الإمام (عليه السلام) يربي الناس بعلمه وأخلاقه معاً، فالعالم الذي لا يحمل أخلاق العلم قد يتحول إلى أداة بيد السلطة، كما وقع لبعض علماء البلاط، ومن هنا كانت تربية الكوادر تحتاج إلى ثلاثة أبعاد:

١/ العلم: حتى لا تخدع بالشبهات.

٢/ التقوى: حتى لا تشتري بالمال والمنصب.

٣/ الوعي: حتى تعرف كيف تطبق العلم في الواقع.

﴿١٠٤﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

وقد يكون الإنسان حافظاً للمعلومات، لكنه لا يعرف زمانه ولا أساليب خصومه، فيستغلّ من حيث لا يشعر.

تربية المماليك وإطلاقهم رسلاً للعلم والأخلاق

ثم يستمر سماحة المرجع (دام ظله) في توضيح خطة الإمام السجاد (عليه السلام) في صناعة الكوادر فيقول:

(وكانت خطته (عليه السلام) في ذلك شراء العبيد وابقاؤهم مدة عنده ليفقههم في الدين حتى إذا أطمأن إلى قابليتهم على تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس أعتقهم وزوّدهم بمؤونة حياتهم، وكان هؤلاء ينتشرون في البلدان ويعرفون الناس علم الإمام (عليه السلام) وأخلاقه)¹.

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

الشرح:

كان نظام الرق موجوداً في ذلك العصر بوصفه واقعاً اجتماعياً واسعاً، فجاء الإسلام بخطة تدريجية لتحرير الإنسان، وفتح أبواب العتق في الكفارات والمناسبات والقربات، وقد حوّل الإمام السجاد (عليه السلام) هذا الواقع إلى فرصة للتربية والتحرير، فكان يشتري بعض المماليك، ويعاملهم بكرامة، ويعلمهم ويفقههم، ثم يعتقهم بعد مدة، وبذلك لم يكن يمنحهم الحرية الجسدية فحسب، بل يمنحهم العلم والثقافة والقدرة على الحياة.

وهذا درس في العمل الاجتماعي؛ فمساعدة الإنسان لا تقتصر على إعطائه مالاً مؤقتاً، بل الأفضل أن نمكّنه من العلم والعمل والاستقلال، إنّ الصدقة تعالج حاجة يوم، أما التعليم والتدريب فقد يعالجان حياة كاملة.

الأخلاق أقوى من المحاضرة

كان هؤلاء المعتقدون ينقلون إلى الناس أخلاق الإمام (عليه السلام) قبل كلماته، فقد عاشوا معه ورأوا رحمته وحلمه وعدله، وقد يدخل الإنسان إلى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بسبب موقف أخلاقي أكثر مما يدخل بسبب مناظرة علمية.

فكم من شخص ابتعد عن الدين بسبب سوء خلق بعض المتدينين، وكم من شخص اقترب من الدين بسبب إنسان أمين أو رحيم أو متواضع! من هنا فإن كل واحد منّا يمثل الدين في موقعه؛ في البيت، والعمل، والجامعة، والطريق، والسوق. وقد تكون معاملتك سبباً في حب الناس لأهل البيت أو ابتعادهم عنهم.

منهج الإمام في معالجة الخطأ

ثم يوضح سماحة المرجع (دام ظله) منهج الإمام السجاد (عليه السلام) في معالجة الأخطاء فيقول:

(حيث كان لا يوبخ أحد من عبيده على خطأ ارتكبه ولا يزجره وإنما يسجل خطاه حتى إذا كان اليوم الأخير من شهر رمضان جمعهم وأطلعهم على ما دون ثم يعفو عنهم)^١.

الشرح:

هذا المنهج يكشف مستوىً عاليًا من التربية والحكمة، فلم يكن الإمام (عليه السلام) يتعامل مع الخطأ بانفعال لحظي، ولا يصرخ في وجه المخطئ، ولا يهينه أمام الآخرين، كان

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

﴿١٠٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

يسجل الخطأ ويؤجل المعالجة إلى الوقت المناسب، ثم يواجه الشخص بخطئه ويذكره به، وبعد أن يقرّ، يعفو عنه.

وهنا عدة دروس:

١/ لا تعالج الخطأ وأنت غاضب

الغضب قد يدفع الإنسان إلى استعمال كلمات جارحة تتجاوز حجم الخطأ، وقد ينسى المخطئ أصل المشكلة، ويبقى متألماً من طريقة المعالجة، من الحكمة أن يهدأ المربي، ثم يتكلم.

٢/ احفظ كرامة المخطئ

الخطأ لا يسقط كرامة الإنسان، وقد نرفض الفعل لكننا لا نهين صاحبه، والإهانة قد تجعل المخطئ يعاند، أما الاحترام فيفتح قلبه للاعتراف والتغيير.

٣/ دوّن الأخطاء ولا تجمعها في صدرك

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿١٠٩﴾

قد يبقى الإنسان ساكناً سنوات ثم ينفجر ويذكر كل الأخطاء القديمة، وهذا أسلوب يدمر العلاقات، أما الإمام (عليه السلام) فكان يسجل بطريقة منظمة، ثم يعالج في وقت معلوم، فلا يتحول الأمر إلى حقد أو انتقام.

٤/ اجعل العفو تربيةً

لم يكن عفو الإمام (عليه السلام) ضعفاً، بل كان بعد إقرار المخطئ بخطئه، فالعفو جاء بعد تحقق الوعي والمحاسبة، والعفو التربوي لا يعني تجاهل الخطأ، وإنما يعني معالجة الخطأ مع فتح باب العودة.

الإمام يعلمهم العفو بالدعاء

ثم ينطلق سماحة المرجع (دام ظله) في شرح أسلوب الإمام (عليه السلام) في تعليم العفو بالدعاء فيقول:

﴿١١٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

(فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجَلَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) إِذَا دَخَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ لَا يَضْرِبُ عَبْدٌ لَهُ وَلَا أَمَةٌ، وَكَانَ إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ وَالْأَمَةُ، يَكْتُبُ عَنْدَهُ: أَذْنَبَ فُلَانٌ، أَذْنَبَتْ فُلَانَةٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَلَمْ يِعَاقِبْهُ فَيَجْتَمِعْ عَلَيْهِمُ الْآدَبُ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ دَعَاهُمْ وَجَمَعَهُمْ حَوْلَهُ ثُمَّ أَظْهَرَ الْكِتَابَ، ثُمَّ قَالَ: يَا فُلَانُ، فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا وَلَمْ أُؤَدِّبْكَ أَتَذْكُرُ ذَلِكَ؟

فَيَقُولُ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِهِمْ وَيَقْرُرَهُمْ جَمِيعًا... اذْهَبُوا فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ وَأَعْتَقْتُ رِقَابَكُمْ رَجَاءً لِلْعَفْوِ عَنِّي وَعِتْقِ رِقَبَتِي فَيُعْتَقُهُمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ أَجَازَهُمْ بِجَوَائِزِ تَصَوُّنِهِمْ وَتَغْنِيهِمْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَمَا مِنْ سَنَةٍ إِلَّا وَكَانَ يُعْتَقُ فِيهَا فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مَا بَيْنَ الْعِشْرِينَ رَأْسًا إِلَى أَقْلٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿١١١﴾

عِنْدَ الْإِفْطَارِ سَبْعِينَ أَلْفَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ كُلًّا قَدْ
اسْتَوْجَبَ النَّارَ...^١.

الشرح:

كان الإمام (عليه السلام)، وهو المعصوم، يطلب منهم أن
يرفعوا أصواتهم بالدعاء له بالعفو، لا لأنّ لديه ذنباً
كذنوبنا، وإنما لتعليمهم التواضع والانكسار بين يدي الله
تعالى، فالقائد الحقيقي لا يظهر أمام أتباعه بوصفه فوق
البشر، ولا يحتقرهم، بل يربطهم بالله تعالى ويعلمهم أنّ
الجميع عبيد في حضرته، كما أنّه لم يعتقهم ثم يتركهم
للفقر والحاجة، بل كان يعطيهم ما يعينهم، حتى لا تتحول
الحرية القانونية إلى عبودية اقتصادية.

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب
الناعمة.

﴿١١٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

وهذا يعلمنا أنّ المشاريع الاجتماعية ينبغي أن تكون مدروسةً ومتكاملة. فلا يكفي أن نحلّ جزءاً من المشكلة ونترك بقية أجزائها.

إقامة الشعائر الحسينية وحفظ القضية

ثم يكمل سماحة المرجع (دام ظله) في تعداد الأدوات التي استخدمها الإمام (عليه السلام) فيقول:

٥) إقامة الشعائر الحسينية وديمومتها فقد أسس (عليه السلام) زيارة الأربعين حينما قرّر العودة إلى كربلاء لزيارة أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) بعد انتهاء أسره في الشام ولم يرجع مباشرة إلى المدينة وأسس للمجالس الحسينية ويستثمر كل مناسبة لأقامتها وكان يقول (عليه السلام): (وَاللّٰهُ، مَا نَظَرْتُ إِلَى عَمَّاتِي وَأَخَوَاتِي إِلَّا وَخَنَقْتَنِي الْعَبْرَةَ، وَتَذَكَّرْتُ فِرَارَهُنَّ يَوْمَ الطَّفِّ مِنْ خِيَمَةِ

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿١١٣﴾

إِلَى خِيَمَةٍ، وَمَنْ خِبَاءٍ إِلَى خِبَاءٍ، وَمُنَادِي الْقَوْمِ يُنَادِي:
أَحْرِقُوا بَيْوتَ الظَّالِمِينَ^١.

إنَّ الإمام السَّجَادَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أدوا دوراً أساسياً في تأسيس الذاكرة الحسينية وإقامة الحزن على الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وإنَّ زيارة الأربعين أصبحت لاحقاً من أعظم الشعائر المرتبطة بقضيته، وقد وردت في شأنها نصوص معروفة، ومنها عدَّة زياراة الأربعين من علامات المؤمن.

الشعائر حماية للهوية

الشعائر الحسينية ليست مجرد طقوس شكلية، بل هي وسائل لحفظ القيم والذاكرة والانتماء، فحين يسمع الطفل

١ - خطاب أدوات الإمام السَّجَادَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في مواجهة الحرب الناعمة.

﴿١١٤﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

منذ صغره باسم الحسين (عليه السلام)، ويعرف أنه وقف ضد الظلم، وأنّ العباس (عليه السلام) كان مثال الوفاء، وأنّ زينب (عليها السلام) كانت مثال الصبر والشجاعة، تتكون في شخصيته نماذج أخلاقية سامية.

ومن دون الشعائر قد تبقى القيم أفكاراً مجردة، أما الشعيرة فتحولها إلى تجربة حية يشترك فيها المجتمع.

الشعيرة وسيلة وليست غاية منفصلة

ينبغي أن تؤدي الشعائر إلى معرفة الإمام (عليه السلام) والالتزام بمنهجه، فإذا أقمنا المجالس والمواكب، لكننا لم نصلح أخلاقنا ومعاملاتنا، فقد أخذنا من الشعيرة صورتها وتركنا روحها.

إنّ خدمة الزائر عمل عظيم، لكن من روح الخدمة حسن التعامل، والنظافة، واحترام الكبير، والرفق بالصغير، وحفظ

﴿١١٥﴾.....في مواجهة الحرب الناعمة

ممتلكات الناس، وعدم إغلاق الطرق بغير ضرورة، وعدم إيذاء المرضى والجيران.

فالشعيرة التي تقام باسم الإمام (عليه السلام) ينبغي أن تعكس أخلاق الإمام.

المجلس الحسيني مدرسة

قال الإمام الصادق (عليه السلام) للفضيل بن يسار: «تَجَلَّسُون وَتَحَدَّثُون؟» قال: نعم، جعلت فداك. قال: «إِنَّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ أَحَبُّهَا، فَأَحْيُوا أَمْرَنَا، رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا!».

﴿١١٦﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

وإحياء أمرهم لا يعني تكرار المصيبة وحدها، مع أهمية ذلك، وإنما يعني نشر علومهم ومواقفهم وأخلاقهم، وربط المصيبة بالمسؤولية.

فالمجلس الناجح هو الذي يخرج منه الإنسان وهو يعرف شيئاً جديداً، ويشعر بحبٍّ أعمق، ويحمل قراراً عملياً للإصلاح.

الحرب الناعمة في عصرنا

ثم ينتقل سماحة المرجع (دام ظله) الى عصرنا الحاضر ليقول لنا:

(أيها الأحبة؛

إن الإمام السجاد (عليه السلام) يكشف لنا من خلال هذه الأدوات خطورة الحرب الناعمة التي مارسها الأمويون حتى أصبح الدين غريباً وقادة الأمة الحقيقيون - وهم

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿١١٧﴾

أهل البيت (عليه السلام) - معزولين ومحاصرين وابتعد عنهم الناس لذا حمل الأمة مسؤولية التصدي لهذه الحرب الناعمة بالأدوات والوسائل المتاحة حتى هزم أعتى آلة إعلامية مضلّة قادها الأمويون بمباركة حملة العلم الطالبين للدنيا، فعلينا أن نحول سيرة الامام السجاد (عليه السلام) الى مشروع حضاري متكامل في مواجهة الحرب الناعمة بالأدوات التي تناسب كل عصر وكل مجتمع ياذن الله تعالى وتأبيده .

إن الحرب الناعمة بأساليبها المموّهة والمجهزة بأقوى أدوات التأثير ومنها وسائل التواصل الاجتماعي وصناع المحتوى والذكاء الاصطناعي والأعمال الفنية هي أشدّ فتكاً بالأمم من الحروب العسكرية لأنها تنخركيان الأمة من داخلها وتمسخ هويتها وتغيّر ثقافتها وقناعاتها إلى العكس ويصبح العدو صديقاً والصديق عدوً وقد يدافع المجتمع عن عقيدة عدوّه وثقافته وأيدولوجيته

وهو يعتقد أن هذا مشروع، أما الحرب العسكرية فهي
توحد الأمة وتكشف عن أعدائها...^١.

لماذا هي ناعمة؟

سميت ناعمة لأنها لا تظهر غالباً بصورة عدوان مباشر،
فقد تأتي في صورة مسلسل ممتع، أو إعلان جذاب، أو
مقطع فكاهي، أو شخصية مشهورة، أو شعار إنساني
جميل، لكن الرسالة الداخلية قد تعمل على تغيير مفهوم
الأسرة، أو الدين، أو العفة، أو القدوة، أو النجاح، ومع
كثرة التكرار يعتاد العقل على الصورة الجديدة، ثم يبدأ
في قبولها، ثم الدفاع عنها.

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب
الناعمة.

الذكاء الاصطناعي: فرصة وتحدي

الذكاء الاصطناعي ليس شراً في ذاته، بل هو أداة يمكن أن تخدم العلم والدين والتعليم، ويمكن أن تستخدم في التضليل والتزييف وصناعة الأخبار والصور الكاذبة، والموقف الصحيح ليس رفضه، وإنما تعلّمه واستخدامه بوعي وأخلاق.

ينبغي للشباب أن يعرفوا كيف يتحققون من المعلومات، وألا يصدقوا كل صورة أو مقطع، وأن يدركوا إمكانية تزييف الصوت والصورة، كما يجب أن يحافظوا على خصوصيتهم، وألا يقدموا معلوماتهم وصورهم لكل تطبيق مجهول.

صناع المحتوى والقدوة الجديدة

في الماضي كانت القدوة عالماً أو أستاذاً أو أباً أو مصلحاً، أما اليوم فقد يتحول شخص مشهور في منصة ما إلى مؤثر في ملايين الشباب، مع أنه لا يملك علماً ولا تجربة أخلاقية.

ولذلك ينبغي ألا نقيس قيمة الكلام بعدد المتابعين، فالشعبية ليست دليلاً على الحكمة، والانتشار ليس دليلاً على الصواب، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾!

ولا يعني ذلك رفض كل مشهور، وإنما يعني إخضاع المحتوى للميزان:

• هل هو صحيح؟

- هل هو أخلاقي؟
- هل يخدم الإنسان؟
- هل يحفظ الأسرة والهوية؟

الدروس المستفادة من منهج الإمام السجاد

الدرس الأول: إصلاح الأمة يبدأ بصناعة الإنسان

ثم يعرّج سماحة المرجع العقبوبى (دام ظله) لىشرح لنا الدروس المستفادة من منهج الإمام السجاد (عليه السلام) فىقول:

(وقد تعلمنا من الإمام السجاد (عليه السلام) دروس:

١ - إن إقامة الدين وإصلاح الأمة لا تكون بالحركات العاطفية وردود الأفعال الآنية وإنما بصناعة الإنسان المؤمن الرسالى الذى يستوعب القرآن ويعرف ملابسات الواقع ويحمل هم الرسالة بإخلاص وأمانة، وإن المادة الرئيسة لهذا المصنع الحوزات العلمية والجامعات والمؤسسات الثقافية والتربوية)^١.

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) فى مواجهة الحرب الناعمة.

الشرح:

لا يمكن أن نطلب مجتمعاً صالحاً من دون إنسان صالح، والقوانين وحدها لا تصنع التقوى، كما أن الشعارات لا تصنع الوعي، نحتاج إلى إنسان يفهم القرآن، لا يحفظ ألفاظه فقط، ويعرف الواقع، فلا يعيش في عزلة، ويحمل الأخلاق، فلا تتحول معرفته إلى غرور، ويمتلك المهارة، فلا يبقى خيره حبيس النوايا.

ومن هنا تتكامل الحوزة والجامعة والمؤسسة الثقافية والأسرة، فالحوزة تقدم الفقه والعقيدة والأخلاق، والجامعة تقدم العلوم والخبرات، والأسرة تقدم البيئة الأولى، والمؤسسات تحول هذه الطاقات إلى عمل منظم، ولا ينبغي أن تقوم العلاقة بين الحوزة والجامعة على التنافس أو سوء الظن، بل على التكامل؛ لأن الأمة تحتاج

﴿١٢٤﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

إلى الفقيه والطبيب والمهندس والمعلم والإعلامي
والباحث.

لكن الجميع يحتاجون إلى هوية ورسالة.

الشباب ليسوا جمهوراً بل شركاء

من الخطأ أن نتعامل مع الشباب بوصفهم متلقين فقط،
ينبغي إعطاؤهم مسؤوليات حقيقية، وتدريبهم، والاستماع
إلى أفكارهم، والاستفادة من معرفتهم بالتقنيات الحديثة،
فالشباب الذي يشعر أنه جزء من المشروع سيحميه، أما
الذي يطلب منه فقط الحضور والتصفيق فقد يبحث عن
مشروع آخر يمنحه دوراً.

الدرس الثاني: اشغلوا الساحة بالحق

اما عن الدرس الثاني فيحدثنا سماحة المرجع (دام ظله)
فيقول:

(٢) - الأهتمام بأحقاق الحق في مختلف الميادين؛
السلوك، القوانين، الأعراف، الثقافة؛ فإن ذلك كفيلاً
بإزهاق الباطل ودفعه قال تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١) وقال
تعالى ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
فَيَمَكُّثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٧) وعدم الانشغال
بالتقال والقيل وإضاعة الوقت في ما يفتريه الآخر فإن
هذه تستنزف الطاقات في مواجهات ليست هي ساحتنا
الاساسية والصحيح أن نملاً الدنيا بالعمل الصالح

**والحجج القوية ونشر الحقائق فإن هذا كفيل بجعل ما
يفعله الآخر هباء منثورا بإذن الله تعالى...)^١.**

لا تجعل حياتك كلها ردوداً

قد يستهلك الإنسان عمره في الرد على الشبهات
والاتهامات، حتى ينسى بناء مشروعه الخاص، صحيح أن
بعض الشبهات تحتاج إلى جواب، لكن ليس كل كلام
يستحق الرد، وليس كل حساب مجهول يستحق أن نمنحه
وقتنا وطاقتنا.

أحياناً يكون أفضل رد على من يتهم المؤمنين
بالفوضى أن نقدم نموذجاً منظماً، وأفضل رد على من
يتهم الدين بالتخلف أن نقدم عالماً ومخترعاً ناجحاً يحمل

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب
الناعمة.

﴿١٢٧﴾.....في مواجهة الحرب الناعمة

دينه، وأفضل رد على من يصف المتدين بالقسوة أن نقدم خدمةً ورحمةً وأخلاقًا.

إنّ صناعة البديل أقوى من مجرد نقد الواقع.

الحق في السلوك

لا يكفي الدفاع عن الحق في الخطب، بل ينبغي أن يكون حاضراً في معاملاتنا.

- من الحق ألا نغش.
- ومن الحق أن نلتزم بالمواعيد.
- ومن الحق ألا نرمي النفايات في الطريق.
- ومن الحق أن نحترم النظام العام.
- ومن الحق أن نحفظ مال المؤسسة والدولة.
- ومن الحق أن نؤدي العمل بإتقان.

﴿١٢٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

وقد يخسر الخطاب الديني تأثيره عندما يرى الناس
تناقضاً بين الكلام والسلوك.

الحق في الثقافة والعرف

قد تنتشر في المجتمع أعرافٌ خاطئة، مثل المبالغة
في تكاليف الزواج، أو التفاخر، أو احتقار بعض المهن،
أو السكوت عن العنف الأسري، ومواجهة هذه المشكلات
جزء من إقامة الحق؛ لأنَّ الإسلام لم يأتِ لإصلاح
العبادات وحدها، بل لإصلاح الحياة كلها.

الدرس الثالث: تغيير الظلم لا تغيير الظالم فقط

ثم ينتقل سماحة المرجع (دام ظله) الى الدرس الثالث
فيقول:

(٣) - ترسيخ مبدأ أن إصلاح السلطة يبدأ من إصلاح الفرد والمجتمع لأنها نتاجهما اما التوجه إلى تغيير السلطة من دون تغيير حقيقي في المجتمع فإنه غير مثمر، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) وقد اختصرت الفكرة في كلمة: إن مشروعا تغيير الظلم وليس فقط تغيير الظالم إذ قد يأتي ظالم آخر بدلاً عنه^١.

السلطة انعكاس للثقافة الاجتماعية

لا يعني هذا تبرئة الحاكم الظالم أو إلقاء اللوم كله على الناس، فالظالم مسؤول عن ظلمه وسيحاسبه الله، لكن الأنظمة الظالمة تجد غالباً بيئة تسمح لها بالاستمرار، حين ينتشر بيع الأصوات، والسكوت عن الفساد، والبحث

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة.

﴿١٣٠﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

عن الوساطة، وتقديم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، فإنَّ المجتمع يشارك - بدرجات مختلفة - في إنتاج النظام الفاسد.

قد يطالب الإنسان بالعدالة من المسؤول، لكنه يظلم إخوته في الميراث، وقد يرفض الرشوة الكبيرة، لكنه يقبل الرشوة الصغيرة، وقد يلعن الكذب السياسي، لكنه يكذب في تجارته، وهنا يكون التغيير ناقصاً؛ لأننا نرفض الظلم عندما يقع علينا، ولا نرفضه عندما يصدر منّا.

ابدأ من دائرتك

ليس معنى إصلاح النفس أن نعتزل الشأن العام، بل أن نجتمع بين الإصلاح الشخصي والاجتماعي، ابدأ ببيتك، لكن لا تنسَ مجتمعك، أصلح عملك، وشارك في

﴿١٣١﴾.....في مواجهة الحرب الناعمة
إصلاح المؤسسات، ربّ أبنائك، وساهم في حماية
التعليم والثقافة.

إنّ التغيير الحقيقي يتحرك من الداخل إلى
الخارج، ومن الفرد إلى الجماعة، ومن القيم إلى القوانين.

الدرس الرابع: إقامة الشعائر بما يقوي الدين

ثم يختتم سماحة المرجع (دام ظله) بالدرس الأخير
فيقول:

(٤) — إقامة الشعائر الدينية وإدامتها بالشكل الذي
يقوّي الدين ويحافظ عليه وينشر منهج أهل البيت
(عليه السلام) ويأخذ بالمجتمع في طريق الهدى والصالح إمتثالاً
لأمر الإمام الصادق (عليه السلام) حينما قال للفضيل بن
يسار: «يا فضيل تجلسون وتحدّثون؟ قال: نعم جعلت

﴿١٣٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

فَدَاكَ، قَالَ: إِنَّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ أُحِبُّهَا، فَأَحْيُوا أَمْرَنَا يَا
فُضَيْلُ فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا...^١.

مِيزَانُ نَجَاحِ الشَّعِيرَةِ

يُمْكِنُ قِيَاسُ نَجَاحِ الشَّعَائِرِ بَعْدَ أُمُورَ:

- هَلْ زَادَتْ مَعْرِفَةُ النَّاسِ بِالْإِمَامِ (عليه السلام)؟
- هَلْ حَسَّنَتْ أَخْلَاقَهُمْ؟
- هَلْ جَمَعَتِ الْمَجْتَمَعَ أَمْ فَرَّقَتْهُ؟
- هَلْ حَفِظْتَ النِّظَامَ وَحَقُوقَ النَّاسِ؟
- هَلْ قَدِمْتَ صُورَةً جَمِيلَةً عَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام)؟
- هَلْ خَدَمْتَ الْفَقِيرَ وَالزَّائِرَ وَالْمَحْتَاجَ؟
- هَلْ وَاجَهْتَ الشُّبُهَاتَ بِلُغَةٍ وَاعِيَةٍ؟

١ - خطاب أدوات الإمام السجاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب
الناعمة.

﴿١٣٣﴾.....في مواجهة الحرب الناعمة

فليس نجاح الشعيرة فقط بكثرة الحضور، مع أهمية الحضور، بل بعمق الأثر.

اللياقات العامة جزء من الشعائر

من المهم تعليم المشاركين:

- احترام الطريق وعدم إيذاء المارة.
- عدم رفع الأصوات قرب المرضى وكبار السن.
- المحافظة على النظافة.
- الاقتصاد في الماء والطعام.
- احترام النساء والعائلات.
- تنظيم الخدمة وعدم التدافع.
- عدم تصوير الناس من دون إذنهم.
- الالتزام بتوجيهات السلامة.

- حسن استقبال المختلفين.
- عدم تحويل الشعيرة إلى نزاع حزبي أو شخصي.

فهذه التفاصيل ليست هامشية، بل هي من أخلاق أهل البيت (عليهم السلام).

الخاتمة: الإمام السجاد وبناء الأمة من تحت الركाम

أيها الأحبة، إنّ الإمام السجاد (عليه السلام) لم يكن إمام مرحلة هادئة، بل تسلم الإمامة في واحدة من أقسى اللحظات التي مرت على الإسلام، كان أبوه مقتولاً، وأهل بيته شهداء، ونساء النبوة سبايا، والدولة الأموية في ذروة قوتها، والإعلام الرسمي يبرر الجريمة، والأمة تعاني الخوف والجهل والاضطراب.

﴿١٣٥﴾.....في مواجهة الحرب الناعمة

ومع ذلك لم يستسلم الإمام، ولم يسمح لليأس أن يدخل
إلى مشروعه:

- لم يكن يملك جيشاً، لكنه كان يملك كلمة الحق.
- لم يكن يملك دولةً، لكنه كان يبني الإنسان.
- لم يكن يملك منابر السلطة، لكنه حول مجلس
يزيد إلى منبر.
- لم يكن قادراً على فتح المدارس علناً، فحوّل
الدعاء إلى جامعة.
- لم يكن يستطيع أن يحمل السيف، فحمل الذاكرة
والدمعة والحجة.

وبذلك علّمنا أنّ الرسالي لا يسأل فقط: ماذا فقدت؟
بل يسأل: ماذا بقي في يدي، وكيف أوظفه لخدمة الله
تعالى؟

﴿١٣٦﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

فقد يفقد الإنسان مألًا، لكنه يملك علمًا. وقد يفقد موقعًا، لكنه يملك كلمة. وقد يمنع من وسيلة، لكنه يستطيع ابتكار وسيلة أخرى.

المهم ألا ينسحب من المسؤولية.

إنَّ مشروع الإمام السجاد (عليه السلام) يدعونا اليوم إلى أن نواجه الحرب الناعمة بمشروع حضاري متكامل:

- نواجه الجهل بالعلم.
- ونواجه التضليل بالإعلام الصادق.
- ونواجه الشهوة بالعفة والوعي.
- ونواجه التفكك الأسري بالمودة والمسؤولية.
- ونواجه الأنانية بالتكافل.
- ونواجه الكراهية بحسن الخلق.
- ونواجه اليأس بالثقة بالله.

في مواجهة الحرب الناعمة.....﴿١٣٧﴾

• ونواجه المحتوى الهابط بمحتوى أصيل جميل يناسب لغة الشباب.

• ونواجه الطغيان ببناء الإنسان الذي لا يبيع دينه ولا كرامته.

فالإمام السجاد (عليه السلام) ليس إمام الحزن المنعزل، بل إمام الوعي والصبر والبناء والإصلاح، والافتداء به لا يكون بالبكاء على مصيبته وحدها، وإنما بحمل أدواته ومنهجه وتحويلها إلى مشروع عملٍ في الأسرة والحوزة والجامعة والإعلام والمؤسسات والمجتمع.

نسأل الله تعالى أن يعرفنا حقَّ محمد وآل محمد (عليهم السلام)، وأن يرزقنا الثبات على ولايتهم، وأن يجعلنا من العاملين على إحياء أمرهم، والسائرين على هداهم، والمستشعدين بين يدي إمام زماننا، وأن لا يجعلنا ممن يقولون ما لا يفعلون، أو يعرفون الحق ثم يخذلونه.

﴿١٣٨﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله
الطيبين الطاهرين.

فہرست

الفهرس

٧.....	المقدمة
٢٣.....	أدوات الإمام السجّاد (عليه السلام) في مواجهة الحرب الناعمة
٤٥.....	شرح الخطاب
٤٧.....	تمهيد: معركة كربلاء لم تنته في عاشوراء
٤٩.....	عدم الانخداع بالدعوات العاطفية
٥٣.....	العاطفة مطلوبة ولكنها لا تكفي!
٥٤.....	من اللياقة الأخلاقية ألا نعطي وعودًا لا نفي بها
٥٥.....	الحكمة ليست استسلامًا
٥٨.....	المسؤولية تتغير أدواتها ولا تتوقف
٦٠.....	نقل المعركة من ساحة السلاح إلى ساحة الوعي
٦٣.....	إعادة الأمة إلى القرآن
٦٥.....	صناعة الإنسان قبل السيطرة على المؤسسات

﴿١٤٢﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

٦٦.....الإعلام والمنبر والخطاب

٦٩.....الإعلام المضلل يبدأ بحجب المعلومات

٦٩.....مواجهة الإعلام لا تكون بالصراخ

٧١.....المنبر مسؤولية لا وجهة

٧٢.....موقف الإمام (عليه السلام) في مجلس يزيد

٧٤.....يزيد كان يعرف قوة الحقيقة

٧٥.....تحويل منصة العدو إلى منبر للحق

٧٦.....الجمال جزء من تبليغ الرسالة

٧٧.....الدعاء وبناء المشروع الحضاري

٧٨.....الدعاء ليس انسحاباً من الواقع

٧٩.....الصحيفة السجادية مدرسة متكاملة

٨٠.....المعرفة العقدية في الدعاء

٨٢.....الدعاء يربي على الأخلاق العامة

٨٣.....الدعاء والعمل

٨٤.....البكاء وحفظ الذاكرة

﴿١٤٣﴾.....	في مواجهة الحرب الناعمة.....
٨٥.....	البكاء موقف وليس ضعفاً.....
٨٧.....	الذاكرة أساس الهوية.....
٨٨.....	الفرق بين دمة الوعي ودمة العادة.....
٨٩.....	رواية بكاء الإمام السجاد.....
٩٢.....	دَمْعَةٌ فِي سُوْقِ الْقَصَّائِينَ.....
٩٧.....	رسالة إلى أصحاب المهن والأعمال.....
٩٨.....	البكاء كثورة صامته.....
١٠٠.....	صناعة الكوادروبنا الحوزة العلمية.....
١٠١.....	ملاحظة في التعبير.....
١٠٢.....	الاهتمام بالنوع لا بالعدد.....
١٠٣.....	العلم وحده لا يكفي.....
١٠٤.....	تربية المماليك وإطلاقهم رسلاً للأخلاق.....
١٠٦.....	الأخلاق أقوى من المحاضرة.....
١٠٧.....	منهج الإمام في معالجة الخطأ.....
١٠٩.....	الإمام يعلمهم العفو بالدعاء.....

﴿١٤٤﴾.....أدوات الإمام السجاد (عليه السلام)

١١٢..... إقامة الشعائر الحسينية وحفظ القضية

١١٣..... الشعائر حماية للهوية

١١٤..... الشعيرة وسيلة وليست غاية منفصلة

١١٥..... المجلس الحسيني مدرسة

١١٦..... الحرب الناعمة في عصرنا

١١٩..... الذكاء الاصطناعي: فرصة وتحديّ

١٢٠..... صنّاع المحتوى والقذوة الجديدة

١٢٢..... الدروس المستفادة من منهج الإمام السجاد

١٢٢..... الدرس الأول: إصلاح الأمة يبدأ بصناعة الإنسان

١٢٤..... الشباب ليسوا جمهورًا بل شركاء

١٢٥..... الدرس الثاني: اشغلوا الساحة بالحق

١٢٦..... لا تجعل حياتك كلها ردودًا

١٢٧..... الحق في السلوك

١٢٨..... الحق في الثقافة والعرف

١٢٨..... الدرس الثالث: تغيير الظلم لا تغيير الظالم فقط

﴿١٤٥﴾.....	في مواجهة الحرب الناعمة.....
١٢٩	السلطة انعكاس للثقافة الاجتماعية.....
١٣٠	ابدأ من دائرتك.....
١٣١.....	الدرس الرابع: إقامة الشعائر بما يقوي الدين.....
١٣٢	ميزان نجاح الشعيرة
١٣٣.....	اللياقات العامة جزء من الشعائر.....
١٣٤.....	الخاتمة: الإمام السجاد وبناء الأمة من تحت الركाम.....
١٣٩.....	الفهرس.....

الحمد لله رب العالمين
منيرة

